الشعوب الإسلامية
في آسيا
١١

أفغانستان



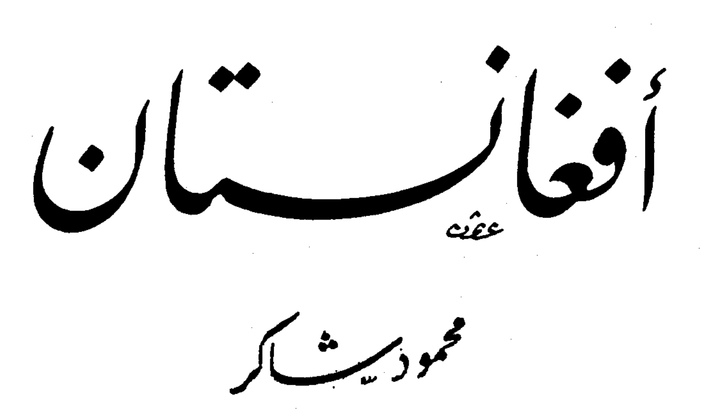
محمود شاكر

المكتب الإسلامي

اطن الشعوب الإسلاميّة

في آسيا

١١



محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الخامسة

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

المكتب الاسلامي
بيروت : ص. ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيًا : اسلاميا
دمشق : ص. ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقيًا : اسلامي

أفغَانِسْـــتَان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين وبعد :
فإن لكل أمةٍ من الأمم غاية تسعى إلى تحقيقها إن كانت تريد الحياة ، وتبغي البقاء ، وتطلب العزة ، وتسير وراء المنعة . هذه الغاية لا بدّ لتحقيقها من أهدافٍ يتم الوصول إليها الواحد بعد الآخر على مراحل متتابعة ، ولا يمكن تأمين هذه الأهداف إلا بعد غرسها في نفوس الشباب لتكون مثلاً أعلى لهم يتسابقون من أجل الظفر به ، ويسعون من أجل الوصول إليه حسب التضحية والبذل والجهاد والفداء . أما إن تركت هذه المهمة فلا شك أن الشباب يصابون بالضياع وتتقاذفهم الأهواء ، وينتاب الأمة الضعف ويسري الوهن في نفوس أبنائها حتى تصبح نهباً بين الأمم ومطمعاً لكل الشعوب ، وأخيراً تزول وتنقرض ، كما زالت أمم ، وامّحت شعوب ، وكذا الأمر عندما لم تكن لها غاية في الحياة .

والأمة الإسلامية منذ وجدت كانت غايتها إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، فانطلق أبناؤها إلى الجهاد في سبيل الله . وما من فتى إلا وكان همّه القتال والغزو مع جيوش الفتح والخروج في أرض الله يبلغ دعوة الله ، وما من أحد إلا وكانت أمنيته تحقيق النصر بامكاناته كلها وطاقاته كلها وفوق ذاك كان أكبر أمانيه أن يموت في أرض المعركة وتكتب له الشهادة . فكان كل رجلٍ في هذه الأمة يصلح أن يكون قائداً لما يحمل من روحٍ معنوية عالية ، وكان كل جندي مقداماً شجاعاً يخوض غمار الحرب مبتسماً يطلب الفوز بإحدى الحسنيين النصر أو الشهادة لا يبالي أقبلت الكتيبة أم أدبرت ، شدّ الأعداء أم تراخوا بل ربما كان شدّهم أحب إلى نفسه لينال منهم ويحقق ما يريد ، فكم من رجل تسلم القيادة ولم يُسمع به من قبل ، فإذا به في مصاف عظماء القادة . وبهذه الروح انتشرت الفتوحات ، وانطلق المسلمون في أرجاء الأرض يحطمون الطواغيت ، ويزيلون دول الظلم ومعاقل الشرك من المناطق التي وصلوا إليها ، واجتاحتها جيوشهم .

وتوقفت الفتوحات لأسبابٍ كثيرة منها ما ارتبط بالسلطة مباشرة ، ولم يكن المجتمع أثر في تغيير الخطة أو تبديل الوضع ، فهدأت حركة الفتوح ، واتجه الناس نحو العلم وانصرفوا اليه وتسابقوا إلى مجال آخر غير طريق

الفتح ، يجاهدون في سبيل إدخال الناس بالإسلام عن هذه الطريق بعد أن سدت الثغور – ثغور الجهاد – ، كما أن العلم طريق أخرى لسد الفراغ الذي حدث نتيجة توقف الفتوح . فظهر في هذه المرحلة علماء أفذاذ في مختلف العلوم لا تزال أسماؤهم لامعة في ميدانها . بل إن الطريق التجريبية التي طبقوها وعلم الرجال الذي أوجدوه بل وكل جهدٍ في كل ميادين العلم التي ساروا فيها كان معه الإبداع ، وكان علو الشأن . وكان هدف كل شاب أن يكون له باع في هذا الميدان ، وكأن أهداف الأمة قد أصبحت علمية بعـــد أن كانت حربية ، وناب القلم منها عن السيف والغاية فيهما واحدة ولكنهـــا انتقلت من السيف والفتح إلى القلم والكتاب . وقدّم المسلمون للعالم علماً يستنير به . كما انهم في هذه المرحلة نشروا الإسلام في أصقاع واسعة متعاونين مع التجار والدعاة أو كانوا هم من تلك البقاع ، أو أنهم قدّموا لهم المادة الأساسية للدعوة وهي العلم .

بعد هذا التوسع في ميداني الفتح والعلم حدث على مر الزمن شيء من الفتور ، وأصبح للمادة أثر تغلب أو طغى أحياناً على الدعوة ، فلم تعد هناك شحنات من الإيمان تملأ القلب ، وتسيطر على النفس ، تبقيها معهـــا في حرارة الكلمة ودفء التعبير وعبير الجنة وريح الخلد وإنما أصبحت تطورات السياسة وأحداث العـــالم الاسلامي المؤلمة تملأ

الجوارح وتسيطر عليها ، وتجعل من الأرباح ورنين الدراهم خير تسليـة وأفضل مواساة ، واتجهت النفوس إلى الجمع والتملك والكسب والتجارة ، وحتى في هذا المجال بلغ المسلمون شأواً كبيراً إلا أن ذلك قد أدى إلى الضعف وفتور الهمة في القتـال ، واسترخت النفوس ، وُطلبت الراحة حيث كان المسلمون قد انقسمت ديارهم ، وتجزأت أمصارهم ، واختلف قادتهم ، فأثر ذلك على الفتح والقيام بأمور الدعوة ونشر الإسلام .

في هذه الآونة قامت أوروبا التي كانت ضعيفة أمـام المسلمين قامت تغزو ديارهم ، وتفكر بالنصر بعد أن أخلدوا إلى الأرض ، ونالت أوروبا بعض ما كانت تبغيه مـن التغلب على المسلمين ، وارتكبت اثناء ذلك الأعمال الوحشية التي كانت الحافز لرد الفعل ، فكان لا بد أن يفكر الناس بالخلاص ، وأصبحت فكرة الانقاذ تراود أذهان الشباب ، ونشأ قادة عمالقة كان همهم إخراج أعداء الله من الامارات الصليبية التي أقاموهـا حتى تمّ الجلاء النهائي وكان أشهر هؤلاء القادة عماد الدين وابنه محمود نور الدين ثم صلاح الدين الأيوبي – رحمهم الله – .

ولكن مـا إن خرج الأعداء من البلاد حتى عادت الفكرة السابقة تطغى على النفوس التي اعتادت الرقود ، وتعوّدت على التقاعس وإهمـال الغاية الأساسية في الحياة

وذلك بسبب ما نزل بالأمة من نوائب جديدة جعل الضعف ينتابها مرة أخرى ، وكانت أوروبا في الوقت نفسه — وهي التي تلقنت درساً من هزيمتها — تخطط ، وتتحرك ، وتتوثب ، وتنقض على جزء بعد جزء من العالم الاسلامي ، فكانت غاية أبنائها الحركة ومحاولة النهوض من العثرات والصحو من النوم لذا نشأ فيهم المغامرون والبحارة والمكتشفون والرحالة والذين يحلمون في قيادة الجيوش ، كل هذا في سبيل النصر الذي خسروه والقيادة التي لم يعرفوها بعد ، لذا تقدمت أوروبا ونهضت ، وتأخرت أمتنا وكبت ، وتوالت علينا النكبات والمصائب ، واستمر تخلفنا .

بدأ يساور النفوس الشعور بالضعف أمام التقدم الأوروبي ، وهذا ما جعل الأوروبيين يستطيعون السيطرة على معظم البلاد الاسلامية ، يأخذون خيراتها ، وينقلون المواد الخام منها إلى بلادهم لصناعتهم ، فتقدمت صناعتهم وتأخرت بلادنا ، وافتقر سكانها بل أصبحوا تبعاً وخدماً للاقتصاد الأوروبي ، وقد كان لهذا كله نتائجه الكبيرة وبخاصة من الناحية النفسية فقد بدأ الشعور بالضعف بشكل واضح، وظهر التقليد ، وكادت تمّحي الشخصية إلا من الذين كانوا ولا يزالون يشعرون بالاستعلاء الإيماني وامكانية التفوق واستعادة قيادة الركب ؛ فقد وقفوا أمام التيار ،

وتحملوا ضغطه ، وتجلدوا أمام قسوته ، وكانوا كلما هبت ريح عاتية يريد أن تقضي على الأمـة وشخصيتها تعرضوا لها ، ووقفوا في وجههـا ، ولا يزالون قائمين على الحق لا يهمهم من خالفهم ، ولولا ذلك لكانت حيـاة الأمة أقرب إلى نهايتها .

رأى الأوروبيون أن يخرجوا من بعض الأمصار أو أكثرها بعد أن تمّ لهم ما أرادوا حيث أفقدوا الأمـــة شخصيتها ، وقتلوا فيها روح المقاومـــة والفداء إذ أثرى بعض النـاس من وراء التجارة وخدمة الغرباء ، فشريت الأرض ، وظهرت طبقة من الأغنياء والزعماء ، وارتبطت أوضاعهم بأوضاع المستعمرين الذين سهّلوا لهم كثيراً مـن سير أعمالهم الماديـــة ، وأصبح الغنى مطلوباً بحد ذاته ، وصار همّ الشباب الحصول على الغنى والثراء لأنه في نظرهم الضعيف مصدر المنصب والزعامة والجاه .

وعمل الأوروبيون على نشر الفساد ، وساهموا مساهمة فعالة في إيجاد كل وسائل اللهو وإثارة الغرائز ، ووجدت جماعة اتخذتها صناعة لها ، وروّجت لهذه البضاعة وأطلقت على نفسها اسم أهل الفن طارت شهرتهم بعـد أن سخّر الاوروبيون لهـا كل وسائل الدعاية والشهرة في الصحف والاذاعات والندوات ، وأثرى أصحاب الفن ثراء فاحشاً ، وغدا كثير من الشباب يتمنون أن يكونوا من هذه الطبقة

ويسعون وراء ذلك حيث يحققون هواهم وشهواتهم من مال وشهرة وجنس بصورة مكشوفة وذلك كله مع احترام لهم من الزعماء. وبدأ تقليد أبطال الأفلام وبطلاتها حيث غدوا مثلاً أعلى للنشء الجديد من هذه الأمة .

هكذا ترك الشباب غاية الأمة الاسلامية وأهدافها ، واتجهوا إلى السعي وراء مصالحهم وشهواتهم والتسابق إليها . وعندها غيّر المستعمرون الاوروبيون مخططاتهم ، فخرجوا من البلاد ، وتركوها بأيدي أنصارهم ، ومن ارتبطت مصالحهم بهم . إلاّ أن الفوضى قد عمّت البلاد نتيجة نظام الحكم في أكثر بلاد المسلمين ، وخشي المستعمرون أن يفلت الأمر من أيديهم ، فسعوا إلى تسليم الحكم إلى طبقة خاصة تحكم البلاد بالقوة ، وتخضع السكان بالضغط والاكراه ، يضمنون من وراء ذلك عدم المعارضة ويحققون استمرار مصالحهم . وقد تكون لهؤلاء الحكام الجدد واجهة يحكمون بها ، وتختلف تمام الاختلاف عن حقيقتهم زيادة في المكر والتمويه ، وكلما وجد المستعمرون ضعفاً في حكم استبدلوه بآخر أو سعوا في ذلك عن طريق استخدام عدة جياد ، ولا يختلف الحاكم الجديد عن الأول بارتباطه وإنما برجاله وشعاراته التي لا تتباين أيضاً إلا بالألفاظ . وتكررت الانقلابات وعمت كثيراً من البلاد الإسلامية حتى كاد اليأس يسود نتيجة الضغط والقسوة

وسيطرة عقلية معينة لا تصلح للفكر ومحاولة النهضة بالأمة
وكانت الانقلابات العسكرية وسيلة للظهور وحب السيطرة
وتكاثر الشباب أمام الكليات العسكريـــة يبغون الظهور
لا يريدون الجهاد ولا القتــال حتى لنستطيع أن نقول إن
مجرد انتماء الطالب إلى الكليات العسكرية كان تفكيره
يقوده للإعداد إلى القيام بحركات في المستقبل تظهره وتحقق
له بعض نزواتــه ، وكان أمثال هؤلاء الطلاب يُتصيدون
بوساطة مخابرات الاعداء ، ويعدون إعداداً خاصاً ليكونو
جياد المستقبل . وكانت أبواب هذه الكليات توصد أمـا
أصحاب الفكرة الإسلامية من الشباب .

كما ان الطلاب في الجامعات والمعاهد التعليمية لم يكن
همهم العلم بل التخرج لبلوغ أرفع المناصب واسمى المراتب ثم
الانصراف بعدها إلى اللهو والحياة المادية . وكذا بقية
الناس لا همّ لهم إلا الجمع ولا غاية لهم سوى التفكير في
طريقة الحصول على المال أو المنصب . وفوق كل هـذ
كانت مناهج التعليم تجعل النظام الاقتصادي أحد نظامين لا
ثالث لهما : إما الرأسمالي وإما الشيوعي ، أما ما عداهم
فلا نظـام ولا اقتصاد وعلى المسؤولين أن يختاروا إحدى
السبيلين وأن يسلكوا أحد الاتجاهين ، ونتيجة هذا تشكلت
الحياة السياسية فإما ان يكون الارتباط بالدول صاحبـ
النظام الحر المتطرف ومعسكراتها وإما بالدول ذات النظا

الجماعي المتطرف وأحلافها ، أما أن تكون أمة صاحبة كيان مستقل وشخصية متميزة فأمر لم يفكروا فيه ولا خطر ببال أحدهم لذا فالدول الكبرى تشعر أن فراغاً قائماً في المنطقة فان لم تسرع وتشغله سبقتها الأخرى واحتلته وعلى الشاب منذ أول عهده أن يختار إحدى الطريقتين وأن يدعو لها وبالتالي أن يرتبط بمن يدعمه ويؤيده ويمده بالفكر وغيره من .... ويبقى صاحب الفكر الحر ضعيفاً لعدم وجود سند له ، ولإعلان الحرب عليه في الداخل ، والهجوم عليه من الخارج ، والسلاح كله بيد العدو ووسائل الاعلام وطرق الاغراء .

وشغل المجتمع الاسلامي بجماعات همّ بعضها الجمع ، وأخرى همها تحقيق الشهوات ، وثالثة تطلب الظهور وتسعى وراءه ، ورابعة تعمل على السيطرة والتحكم و ... وكلها يمكن توجيهها والسير بها من حيث تدري أو لا تدري... فكل يسعى وراء هدفه ، ولم تعد للأمة غاية ... بل إن أكثرية الناس لم يعد لهم أمل بالإصلاح إذ انقسمت الأمة بين يمين ويسار وشرق وغرب .

والواجب الذي يتحتم علينا أن يكون لنا هدف،وأن تكون لنا غاية ، ونغرس في نفوس الشباب ذلك ليسعوا وراء مبتغاهم ويكون ذلك بالعمل على :

١ - تعريف المسلمين بأوضاع إخوانهم وأوضاع بلادهم

ليروا أن الداء واحـــد، وأن العلاج واحد، وكله بسبب عقيدتهم .

٢ً ـ جمع الدول الاسلامية المبعثرة في اتحـاد ليشكل قوة عالمية يحسب حسابها ، ويقوم الاتحاد على أساس الاسلام وتطبيقه .

٣ً ـ طرح فكرة الحل الاسلامي لمشكلة العالم الانساني الذي ما زال يتخبط ، وقد أصابه الخواء الفكري ، وقد وضح ذلك في الآونة الأخيرة على نطاق واسع .

٤ً ـ العمل على نشر الاسلام حتى يعمّ أرجاء الأرض.

٥ً ـ الجهود المتواصلة لتحصيل العلم ومسايرة الركب العـــالمي ، ونشر الأفكار الاسلامية في النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لتكون الشخصية المتميزة والأمــة المتميزة .

٦ً ـ الاستعلاء والشعور بالتفوق الإيماني الذي هو أعلى من كل تفوق ، ولنخلص هذا الجيل من الشعور بالضعف وعقدة الصغار وتقليد الغرب .

وهذه الأهداف لا بدّ من الكتابة فيها والدعوة اليها ، وقد خطا بعضهم خطوات مجيدة في بعض جوانب العمل ، وبذل آخرون جهوداً حميدة .

ويظهر أن تاريخ أمة من الأمم لا يبدأ دور النهوض والارتقاء بالظهور فيه إلا عندما تتضاءل أمامه بقيـــة

أحداث الأمم . واليـوم بدأت أحوال الشعوب الأخرى تضعف أمام أعيننا إذ شعر العالم بالخواء الفكري ، ورأى الحاجة ماسة إلى منقذ وهـذا لا يكون إلا في الاسلام الذي بدأ يستعلي أتباعه . وإن مراحل تاريخ أمة من الأمم من نهوض وتقدم ثم توقف وثبات وأخيراً تراجع وعودة إلى الوراء ما هو في الحقيقة إلا وجود غاية للأمة أو تركها. فدور النهوض هو محاولة الوصول إلى الغاية ، ودور الضعف ليس هو إلا انعدام الغاية ووضع هدف أمام أعين الشباب للوصول إلى مرحلة معينة . وعلى القـادة المسلمين أن يغرسوا في نفوس الشباب ما يتطلمون اليـــه ويأملون في الوصول اليه ثم يقودونهم إلى ذلك ، ويمدون العالم بحضارتهم ويقودونه .

ومن هذا المنطلق نبـــدأ في تعريف المسلمين بأحوال إخوانهم وأوضاع بلادهم ، وسيكون في هذا الكتيب تعريف بدولة أفغانستان الشقيقة ، فنرجو أن يحقق الفائدة المطلوبة ونطلب من الله سداد الخطا واستقامة الطريق ، والله هو المسؤول وحده ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

١٧ محرم ١٣٩٤ هـ

٩ شباط ١٩٧٤ م

محمود شاكر

أفغانستان

في قلب آسيا في منطقة بعيدة عن البحار تمتد أفغانستان على رقعة واسعة من الأرض تبلغ مساحتها ٦٥٠٫٠٠٠ كيلو متراً مربعاً ، تشكل السفوح الغربية لتلك الجبال الشامخة التي تشغل وسط آسيا فيتكوّن معظم سطحها من مرتفعات خلا بعض المساحات التي تشمل بعض الجهات الغربية سواء من ناحية الشمال أم من ناحية الجنوب .

وليست تلك الجبال هي الجرداء كما يتوهم بعضهم ، وإنما وديان خضر تفصلها أعراف ، وما تلك الأعراف بالقاحلة ، وإذا كان بعضها كذلك إما لصخوره المعرّاة في الشرق بسبب شدة الانحدار ، وإما للجفاف في الغرب لقلة الأمطار إلاّ أن أكثرها خضراء تغطيها الغابات أو تملؤها الشجيرات وتنمو عليها الأعشاب . وهي في الربيع مختلفة الألوان باختلاف أنواع الزهور الطبيعية لا يشذ عرف ولا يختلف مرتفع سوى ما يبقى منها مكللا بالثلج لارتفاعه

يسطع بياضه وتنعكس عليه أشعة الشمس كلون من الورود الأخرى . وتبقى القمم شاهقة في الشرق عالية القامة مرفوعة الهامة ، مهما شرّق الإنسان نحوها بقيت سامقة أمامه كأنه لا نهاية للارتفاع ، ويستمر العلو كلما ارتقى المرء قمة لحظ هناك أعلى منها ، ويبقى الصعود أمام ناظريه .

هذه الأودية التي تملؤها النباتات تعيش في أحضان يحميها انخفاضها من برد الرياح العاتية من أين جاءت ، ومن لفحات الصقيع تحملها نسمات الشمال أو تدفعها زوابع ثلوج القلل . تحيا بالدفء فيأوي اليها الإنسان ، ويركن اليها الحيوان ، فتطفح بالحيوية ، وتنعم بالنشاط ، وإن كان ما حولها هادئاً ساكناً من شدة البرد لا يقطع هذا الهدوء إلاّ صفير ريح باردة أو صوت زوبعة ثلجية أو حركة حيوان أضناه الجوع فخرج يفتش عن وجبة له في صيد ، وقد التحف فروته يقتل بها برد الشتاء القارس ، وقد يشتت السكون في الغرب إعصار مطر أو عاصفة وإن كان حدوثهما قليلا وزمنهما ضئيلا .

هذا الهدوء الذي يخيم في الشتاء على الأعراف والقلل ينقلب إلى حركة مستمرة ونشاط دائب منذ أن يبتدىء الجو بالدفء فيقطع تفكير الانسان ناي الراعي وصوت البدوي ينتقل وراء حيواناته ، وحركة القبائل والعشائر

تنقل أثاثها وتحمل خيامها إلى المصيف ، وصوت الفراشات تزود المكان وتختلف من زهرة إلى أخرى وقد فتّقها برد الندى فأخرجت ما كانت تخفيه من عبير فاح فملأ سفوح التلال برائحته . ويبقى الثرى مبتلا ببرد الطلّ مدة وبعض خيوط الماء تلمع تحت أشعة الشمس تنساب بهدوء من بقع الثلج فتخدد الأرض ، وتجعل فيها انخفاضات وئيدة ، وتظهر الأغنام مصطفة على جانبيها تروي ظماءها .

تشكل أفغانستان القسم الشرقي من هضبة ايران ، وتغلب الصفة الجبلية على سطحها ، ويكون الميل العام من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي .

تبدأ المرتفعات في الشمال الشرقي بهضبة بامير التي تشكل عقدةً تتفرع منها السلاسل الجبلية الشامخة ، يبلغ متوسط ارتفاعها ٣٠٠٠ — ٣٦٠٠ م ، ولكنها تصل في بعض قممها إلى ٦٠٥٤ م داخل أراضي أفغانستان ، وتعرف هذا الهضبة لعلوها الشاهق باسم سقف العالم ، وتشكل مناطق الحدود بين افغانستان وطادجكستان وكشمير وباكستان والتيبت . وتغطي الثلوج قممها معظم أيام السنة ، ويكون شتاؤها طويلا بارداً ، وصيفها دافئاً لا يزيد على ثلاثة أشهر ، ويرتادها في الصيف بعض الرعاة من قبائل القيرغيز .

ومن الجبال التي تتفرع منها في أفغانستان .

١ً — **جبال هندكوش** : وتمتد باتجاه الجنوب الغربي

لتشغل أكثرية أرض أفغانستان حيث تصل إلى مقربة من حدود إيران ، ويستمر هذا الامتداد على طول ٥٧٥ كم . وتكون مرتفعة في الشرق إذ يصل علوهـا إلى ٥٣٣٤ م بينما تنخفض في الغرب فلا يزيـد ارتفاعها على ٣٠٠٠ م . وتنساب الأنهار منها في جميع الاتجاهات على شكل أودية وشعاب حتى أن كلمة هندكوش تعني جبال الأنهار . وقد جزأتها هذه السيول إلى عدة سلاسل يطلق عليهـا أسماء مختلفة مثل جبال انجمان في الشرق ، وكوه بابا في الوسط غرب مدينـة كابل[1] ، وباند بايان في الغرب . وهناك سلاسل فرعية مثل باندي تركستان شمال نهر مورغاب بينه وبـين حدود تركمانستان ، وباندي بابا بين نهري مورغاب وهاري رد ، وتيماني بين نهري هاري رد وفرح ، وهازاراجات بين نهري هلمند وكاش رد .

وبين هذه السلاسل والقمم ممرات عظيمة تخترق هذه الجبال العالية من رؤوس الأودية والشعاب تجتازها قوافل البغـال وارتال السيارات تنقل المسافرين والحجاج وتحمل البضائع والأحمال .

٢ً – **جبال سليمان** : وتتفرع من هضبة بامير ، وتتجه جنوباً ، وتشكل الحدود بين أفغانستان وباكستان ، وتتألف من سلاسل متقاربة تخترقها أوديـة عميقة ، ويصل أعلى

---

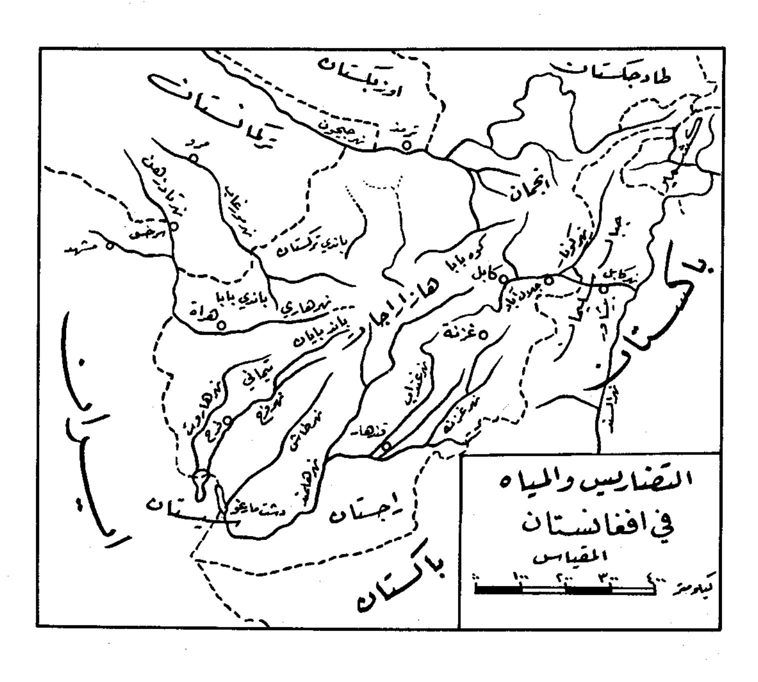
(١) كابل : بضم الباء
(٢) رد : وتعني : نهر

ارتفاع لها إلى ٤٧٦١ م في قمة سيكرام على الحدود بين الدولتين في جنوب شرق مدينة كابل . ومن أشهر ممراتها خيبر الذي يمر فيه نهر كابل ، ويصل بين مدينتي كابل في أفغانستان وبيشاور في باكستان .

أما السهول فتمتد في الشمال في مناطق ضيقة قريبة من مجرى نهر جيحون الذي يشكل الحدود بين تركستان التي تخضع للسيطرة الروسية وبين أفغانستان ، ولا يزيد ارتفاع المناطق على ٣٠٠ م ، وتؤول اليها المياه المنحدرة من جبال هندكوش ، ويصل بعضها إلى نهر جيحون بينما يغيض أكثرها في رمال المنطقة . وكذا توجد سهول في الغرب حول مدينة هراة[1] وعلى مجرى نهر (هاري رد) في مجراه الأوسط ، وفي الجنوب الغربي توجد بقاع واسعة قليلة الارتفاع أكثرها انخفاضاً على حدود ايران حيث تنتشر مستنقعات (سيستان) التي تؤول اليها سيول نهر (هلمند) و(كاش رد) و(فرح) وغيرها ولكن تعدّ هذه الأقسام صحارى سوى ما كان على مجرى نهر هلمند وتسمى صحراء (راجستان) في الشرق و (وشت مارغو) في الغرب

---

(١) هرأة : بفتح الهاء . والنسبة لها هروي ، على وزن حماة وحموي .



التضاريس والمياه
في افغانستان
المقياس
كيلومتر
اوزبكستان
طادجكستان
تركمانستان
باكستان
باكستان
ايران
ترمذ
مرو
مشهد
هراة
كابل
غزنة
هزاراجات
كوه بابا
بانذي تركستان
بانذي بابا
نهر هاري
دشت مارغو

المنـــاخ

تمتد البلاد بين خطي عرض ٢٩ – ٣٨ شمالاً فهي تقع ضمن المنطقة المعتدلة الدفيئـة الشمالية سوى أجزاء صغيرة تقع ضمن منطقة الصحارى الحارة ولما كانت أفغانستان منطقة داخلية بعيدة عن البحار والمحيطات لذا فمناخها قاري شديد الحرارة في فصل الصيف شديد البرودة في أيام الشتاء ، وإن كانت تختلف الحرارة بين المرتفعات والمناطق المنخفضة . ففي الجبال تعتدل الحرارة في الصيف وتكون هضابها ومرتفعاتها مصايف جميلة ترتادها القبائل وترعى حيواناتها ، أما الشتاء فشديد البرد، وكثيراً ما تنخفض درجات الحرارة إلى ٢٠° درجة دون الصفر وتكون مكللة بالثلوج وأما المناطق المنخفضة فصيفها حار لاهب تزيد درجة الحرارة فيه على ٤٥° مئوية ، وينام الناس على أسطحة المنازل طلباً للنسمات العليلة المعتدلة التي هي نسيم الجبل ، وتخلصاً من الحر الشديد والجو الخانق داخل البيوت ، وأكثر المناطق حرارة هي الجنوبية الغربية ، وفي الشتاء يعم الاعتدال ، وتهبط في هذا الفصل القبائل من الجبال .

تهب الرياح الموسمية في الصيف على جبال (سليمان) لا لا تتعداها ، وتحمل معها الأمطار ، أما بقية المناطق فتهب الرياح الشمالية الشرقية الجافة حيث تأتي من مناطق قارية ، ولا شك فان لنسيم الجبل أثراً في الليل ويكون نسيماً

عليلاً منعشاً . وفي الشتاء تصل إلى البلاد الرياح الغربية التي تحمل بعض الرطوبة من البحر الأبيض المتوسط رغم بعده ، وتسبب هطول بعض الأمطار ، وتتساقط في المرتفعات على شكل ثلوج بسبب شدة البرد ، كما تتعرض الأجزاء الشمالية للرياح الباردة الشديدة البرد فتسبب تلك اللفحات القارصة ، وتنشر الصقيع .

وافغانستان بسبب بعدها عن البحار فهي قليلة الأمطار وأكثرها ما يهطل على المرتفعات في الشرق والشمال الشرقي حيث تبلغ كمية المطر الهاطلة هناك ٣٨٠ مم في السنة ، وأقل المناطق مطراً هي المناطق الواقعة في الجنوب الغربي ويبلغ ما يهطل عليها ٥٠ مم فقط ، والمعدل العام للمطر هو ٢٥٠ مم ، ولكن هذه الكمية تتفاوت من سنة لأخرى .

وتمتاز سماء افغانستان بالصحو معظم أيام السنة ، فالصيف دائم الصحو ، وأكثر أيام الشتاء تصفو سماؤها إذ الأيام الغائمة قليلة ، وتسطع الشمس الدافئة أغلب الأحيان .

الميـــاه

بسبب قلة الأمطار نرى الانهـار قليلة وبخاصة الانهار الدائمة الجريان منها ، هذا فضلا عن ضآلة مياههـا ، وهي تجري في بطون الأودية على شكل خيوط من الماء سببها ذوبان الثلوج الدائمة . ولكن عدد الأوديـة كبير معظمها

يجف أكثر أيام السنة لقلة المطر . وهي تمتلىء بالمياه إثر زخات المطر ، وتفيض في فصل الربيع واوائل الصيف عندما تبتدىء درجة الحرارة بالارتفاع بسبب ذوبان الثلوج ، وتشح فيما عدا ذلك لشدة الحرارة التي تؤدى إلى زيادة التبخر وقلة التغذية والاستفادة من بعض ما يجري فيها بالري ، وإذا ما زاد على ذلك استمر الجريان حتى وصل إلى المستوى الأساسي سواء إلى مستنقعات (سيستان في الجنوب الغربي أم إلى نهر جيحون في الشمال . وقد ينتهي بعضها وهو في طريقه قبل أن يصل إلى مبتغاه . فيغيض في الرمال أو يتلاشى في التبخر أو يزول في الري ومن أشهر هذه الأنهار والجداول :

١ً – **جيحون** : ويجري في الشمال ، ويشكل الحدود بين أفغانستان وتركستان التي تخضع للسيطرة الروسية مسافة ٦٣٠ كم وينبع من هضبة بامير ، ويتلقى تغذيته من ثلوج بامير والجبال المشرفة على واديه سواء من جبال هندكوش من الجنوب أم مرتفعات تركستان من الشمال . ويصب نهر جيحون في بحيرة خوارزم (بحر آرال) مشكلا دلتا واسعة ، وقد كان فيما مضى يصب في بحر الخزر (قزوين) ويبلغ طوله ٢٢٤٠ كم ، ويفيض في أيام الربيع عندما تبتدىء الثلوج بالذوبان ، ويتسع في مجراه الاوسط والأدنى ، وتكثر عليه أشجار الحور والصفصاف وكثير من النباتات الشوكية

التي يأوي اليها وحش الفلاة وطير البر . ولا ترفده من جبال هندكوش إلا أودية جافة وسيول تصل مياهها اليه اثناء جريانها وامتلائها بالمياه في الشرق ، أما في الغرب فلا تصل مياهها اليه وإنما تضيع بالرمال والتبخر . وقد اتفقت افغانستان مع روسيا صاحبة الكلمة في تركستان على استغلال مياه هذا النهر في الري والزراعة واقامة السدود لتوليد القوى الكهربائية .

ومن الجدير بالذكر ان البلاد الواقعة وراءه قد أطلق المسلمون عليها اسم بلاد ما وراء النهر نسبة اليه .

ومن المدن المشهورة التي تقع على هذا النهر ترمذ[1] التي ينسب اليها الإمام الترمذي[2] . وهي على حدود أفغانستان ضمن جمهورية الأوزبك التي تخضع للسيطرة الروسية .

٢ً– نهر هلمند : ويبدأ مجراه الأعلى من المرتفعات الوسطى من جبال (كوه بابا) من غرب مدينة كابل ، ومن (باندي

---

(١) ترمذ : بكسر التاء والميم وسكون الراء . كانت قديمة مبنية على شاطيء النهر ، فلما خربها جنكيز خان جدد بناؤها على بعد ميلين من النهر .

(٢) الترمذي : هو محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي ، ويكنى بأبي عيسى ، ولد عام ٢٠٩ هـ ــ ٨٢٤ م ، تتلمذ للبخاري قام برحلة الى خراسان والعراق والحجاز، وهو من أئمة الحديث، يضرب به المثل في الحفظ ، عمي في اخر حياته ، وتوفي في ترمذ عام ٢٧٩ هـ ــ ٨٩٢ م .

بايان)، بل إن كل المياه التي تنساب على السفوح الجنوبية لجبال هندكوش والسفوح الغربية للمرتفعات الشرقية تؤول إليه بواسطة روافد كثيرة وأودية عديدة. وقد تشكل هذه الأودية بحيرات أثناء جريانها في أودية عميقة بين الجبال عندما يعترضها خانق أو تجد أمامها عقبة لا تستطيع نحتها. ومن أشهر هذه الروافد نهر(غزنه) الذي يلبع من جنوب مدينة غزنة، ونهر(أرغنداب)، وبين هذين النهرين وقبل التقائهما تقع مدينة (قندهار)[1]، ثم نهر (دوري) ونهر (لورا) اللذان يأتيان بالمياه من الشرق. ويكون اتجاه النهر نحو الجنوب الغربي، ثم نحو الغرب، وأخيراً يتجه نحو الشمال ليصب في بحيرة(سيستان)على الحدود الأفغانية – الايرانية. ويبلغ طوله ١١٢٠ كيلو متراً، ولكنه يروي وفروعه منطقة في الجنوب الغربي تزيد مساحتها على ثلث المساحة العامة لأفغانستان.

٣ً – **نهر خاش**: كاش رد، وتنحدر مياهه من جبال تيماني، ويتجه نحو الجنوب الغربي، ويصب ما يفيض من مياهه في منخفض سيستان.

٤ً – **نهر فرح**: فرح رد، وتأتيه المياه من جبال(تيماني)، ويمر بمدينة (فرح)، ويصبح بعدها جافاً، ولا تجري المياه في وادية إلا عقب زخات المطر الشديدة، ويؤول سيله أيضاً إلى منخفض (سيستان)، ويبلغ طوله ٦٤٠ كم.

---

(١) قندهار: بضم القاف وسكون النون وضم الدال.

٥ً – نهر هاروت : في الغرب ومصير مياهه هو مصير الأنهار السابقة نفسه في منخفض سيستان .

٦ً – نهر هاري : هاري رد ، ويجري في الغرب ، ويمد رأسه حتى أواسط البلاد ، ويعدُّ واديه طريق المواصلات ، وتقع في حوضه مدينة هراة ، ويستمر في اتجاهه الغربي حتى يصل إلى حدود ايران حيث يتجه نحو الشمال مشكلا الحدود بين افغانستان وايران ثم بين بلاد التركان وايران ، وأخيراً تغيض مياهه في رمال بلاد التركان ، ويعرف هناك باسم تادزهن . ويأتيه رافد من ايران هو نهر مشهد . ومن المدن الواقعة على هذا النهر ذات الماضي التاريخي مدينة سرخس[٢] عند انعطاف الحدود الايرانية نحو الغرب ، ضمن

---

(١) من العلماء الذين ينسبون الى مدينة سرخس (١) عبيدالله بن سعيد السرخسي من حفاظ الحديث توفي عام ٢٤١ هـ ، وهو الذي أظهر السنة بسرخس ، وقد روى عنه البخاري ١٢ حديثا، ومسلم ٤٨ حديثا .

عبد الرحمن بن محمد السرخسي يكنى بأبي بكر ، فقيه حنفي، ولي قضاء البصرة مرتين توفي عام ٤٣٩ هـ .

أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب السرخسي، له علم غزير، تولى الحسبة في بغداد ، توفي عام ٢٨٦ هـ .

اسماعيل بن ابراهيم بن محمد السرخسي ، عالم بالفقه والادب ، ألف كتابا في مناقب الشافعي ، توفي ٤١٤ هـ .

محمد بن محمد رضي الدين السرخسي ، فقيه من أكابر الحنفية ، أقام مدة في حلب ثم تعصب عليه أهلها فسار الى دمشق وتوفي في عام ٥٤٤ هـ .

محمد بن أحمد بن سهل السرخسي قاضي من كبار الاحناف من أشهر كتبه المبسوط في ثلاثين جزءا توفي عام ٤٨٣ هـ .

بلاد التركان التي تخضع للسيطرة الروسية . ويصل طول هذا
النهر إلى ١٠٠٠ كم تقريبـاً يجري في أفغانستان ٦٥٠ ك
والباقي في بلاد التركان . كما كانت مدينة بيهق[١] تقع في
مجراه الأسفل حيث تزول مياهه قريباً منها . وليس له
اليوم اسم ، وقـد اندثرت . وهي في بلاد التركان تحت
السيطرة الروسية ، وما انشىء اليوم لا يمكن أن يحمل
هذا الاسم للسياسة الروسية المتبعة التي تريد إزالة كل ماض
وتاريخ واعتباره من بداية ثورتها الشيوعية ، وكل ما قبل

(١) ينسب الى هذه المدينة عدد من العلماء الاعلام منهم :
١ ـ اسماعيل بن الحسين بن عبدالله البيهقي . أبو القاسم أو أبو محمد : فقيه حنفي زاهد ، له عدة كتب في مذهبه توفي عام ٤٠٢ هـ .
٢ ـ أحمد بن الحسين بن علي البيهقي . أبو بكر : من أئمة الحديث ، شافعي المذهب ، قال عنه امـــام الحرمين : ما من شافعي الا وللشافعي فضل عليه الا البيقهي فان له المنةوالفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبـــه وبسط موجز وتأييد آرائه ، من مصنفاته السنن الكبرى في عشرة مجلدات والسنن الصغرى ، ودلائل النبوة، والمبسوط توفي عام ٤٥٨هـ
٣ ـ أحمد بن علي محمد البيهقي . أبـــو جعفرل : لغوي عالم بالقراءات ، له (المحيط بلغات القرآن) و (تاج المصادر) توفي سنة ٥٤٤ هـ .
٤ ـ علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي : بـــاحث مؤرخ ، تفقه وتأدب واشتغل بعلوم الحكمة والحساب والفلك صنف ٧٤ كتابا توفي ٥٤٣ هـ .
٥ ـ محمد بن الحسين البيهقي ، أبو الفضل : مؤرخ ، كان كاتب الانشاء في دولـــة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي توفي سنة ٤٧٠ هـ .

ذلك فهو أسود حالك . وقد أقيم مشروع كهربائي على النهر عند غريشك كما أن عليه سدين آخرين للري .

٧ – نهر مورغاب : وينبع من شمال جبال (هندكوش)، ومن أواسط البلاد ، ويتجه نحو الغرب ، وعندما يصطدم بجبال (باندي بابا) يضطر إلى الانحراف نحو الشمال ، وتأتيه روافد تتجه من الجنوب إلى الشمال ، وتلتقي معه عند حدود بلاد التركمان أو في داخلها ، كما يأتيه نهر (خوشا) الذي يكون مجراه الأعلى في بلاد الأفغان على السفوح الشمالية لجبال (باندي بابا) ويستمر في اتجاهه حتى يصل بلدة مرو[٢] عاصمة بلاد خراسان أيام الدولة الإسلامية ،

(١) مرو : مدينة قديمة ، اقيمت مدينة حديثة في غربها على بعد ٣٠ كم بأسم ماري . ومرو مدينتـــان تعرف الاولى بأسم مرو الشاهجان ، وهي مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها ، والنسبة اليها مروزي على غير قيـــاس ، ومعنى أسمها نفس السلطان اذ أن كلمة جان تدل على نفس أو روح ، ومن مروهذه أحمد بن محمد بن حنبل الامـــام المعروف . ومنها عبدالله بن المبارك ، ومنها أسماعيل بن الحسين بن محمد المروزي ، النسابة الاديب الذي اجتمع به ياقوت الحموي في مرو عام ٦١٤ هـ ، ومنها هارون بن خالد المروزي الوالي للخليفة المتوكل على بلاد السند والمتوفي عام ٢٤٠ هـ . ومنها عبدالله بن عثمان الحافظ للحديث الذي ولي قضاء جوزجان لعبدالله بن طاهر والمتوفى ٢٢١ هـ . ومنها احمـــد بن علي بن سعيد المروزي . أبو بكر القاضي المعروف ، من حفاظ الحديث المشهورين ، وقد ولي قضاء حمص ، ومات قاضيا بدمشق عام ٢٩٢ هـ . ومنها محمد بن نصر المروزي امام الفقه والحديث المتوفى في سمرقند عام ٢٩٤ هـ . ومنها ابراهيم بن احمد المروزي . أبو اسحاق الفقيه الشافعي =

والتي اشتهرت في الأدب العربي بأنها بلد البخلاء . وهناك تؤخذ من عدة أقنية إحداها تصل إلى مدينـــة مرو ، والثانية إلى بيرام علي ، وتصله اليوم قنــاة بنهر جيحون باتجاه الشرق ، وأخرى بنهر هاري باتجاه الغرب .

٨ً — **نهر كابل** : ينبع من وسط البلاد ، ويتجه شرقاً ، فيمر بمدينة كابل ، وبعد خروجه منها تصل إليه مياه لوغار، ثم تبتدىء الروافد تأتيه من اليمين والشمال ، وعندما يصل إلى مدينة جلال اباد يتسع مجراه ، ويعرض واديـه ، ثم يجتاز ممر خيبر وتكون قد جاءته من الشمال ميـــاه نهر (علينكار) قبل مدينة جلال أباد ورفده بعدها نهر (كونار

المتوفى في مصر عام ٣٤٠ هـ . وهي الان تحت الاستعمـــار الروسي .

أما مرو الثانية فهي مرو الروذ وهي مدينة صغيرة بالنسبة لمدينة مرو الشاهجان ، وقريبة منها بينهما خمسة أيام ، والنسبة اليها مروروذي أو مروذي ، وبها مات المهلب بن أبي صفرة ، والروذ بالفارسية معناها النهر أي مرو النهر حيث تقع على نهر مورغاب ، وتقع اليوم في أفغانستان علىحدود بلاد التركمان تماما . ومنها احمد بن عامر بن بشر بن حامد المروذي وهو من كبار فقهاء الشافعية توفي ٣٦٢ هـ . ومنها حسين بن محمدبن أحمد المروروذي ، وهو أيضا من كبار فقهاء الشافعية ، وقدعمل في القضاء ، وتوفي ٤٦٢ هـ . ومنها كريمة بنت أحمد بن محمد المروذية التي تعرف بأسم أم الكرام أو ست الكرام وكانتتروي صحيح البخاري ، وقد توفيت بمكة عام ٤٦٣ هـ .

ويقع قصر الاحنف بن قيس خارجها من ناحية الشمال داخل بلاد التركمان اليوم .

وتقدر المسافة بين هـــاتين المدينتين مرو الشاهجان ومرو الروذ بـــ ٢٥٠ كم .

الذي يسير موازياً للحدود ، ويدخل باكستان ، فيمر في مدينة (بيشاور) وبعدها يرفد نهر السند عند مدينة (اوتوك). يبلغ طول هذا النهر ٦٠٠ كم من منبعه غرب مدينة كابل بـ ٨٠ كم حتى مدينة (اوتوك)، ويعدّ من أهم الأنهار الأفغانية للفوائد الكبرى منه ولاستمرار جريان مياهه .

النّبَاتُ الطّبيعيّ

رغم الأمطار القليلة فإن الغابات تكسو منحدرات جبال هندكوش وبامير وسليمان فتنمو أشجار الصنوبر والأرز والشربين والسرو والحور والعرر والفستق واللوز وتكون بين ارتفاع ١٥٠٠ — ٢٧٠٠ م . وينمو الزيتون البري على ارتفاع ٧٥٠ — ١٥٠٠م . وما دون هذا الارتفاع وإلى ٧٥٠م تنمو الأعشاب الشوكية والشيح والشجيرات الهزيلة . وتعيش على الجبال بشكل عام النباتات العطرية والمزهرة والخشخاش البري .

أما في الجنوب الغربي فتمتد صحارى سيستان ، وهي تيه واسع من الرمال لذا سماها بعضهم بصحراء الموت .

وأكثر المناطق أهمية في غاباتها الشمال الشرقي ، ولكن صعوبة المواصلات يفوق نقل الأخشاب إلى بقية الجهات الأفغانية ، وقد يكون من اليسر نقلها إلى باكستان عن

طريق نهر كابل من منطقتي (باكيتا) و(ننجراهار)، بينما يصعب حملها إلى بقاع افغانستان الأخرى . وتشغل الغابة ٢ ٪ من المساحة العامة للبلاد .

وتعيش في الغابات أنواع من الدببة والكلاب والقطط والخنازير البرية والثعلب وابن آوى . وهناك الماعز والغنم الجبليان التي تشتهر ذكورها بقرونها المعقوفة التي قد يصل طول القرن فيها إلى متر أو أكثر .

الحيَـــاة البَشَريَّـة

لمحة تاريخية :

يقصد بكلمـــة أفغانستان بلاد الأفغان ، وهي حسبما اعتادوا تناقله خلال الأجيـال نسبة إلى (أفغانا) وهو حفيد بنيامين بن يعقوب عليه السلام سافر مع أبنائـه الأربعين عندما حلت كارثة بني اسرائيل بهم ، واتجه إلى هـــذه المنطقة الواقعة شرقي بلاد فارس ، وأقاموا فيها ، ويدّعي السكان أنهـم من ذلك الأصل حسبما تروي أساطيرهم . ولكن كلمة أفغانستان حلت محلها اسم الدول التي سيطرت على المنطقة ، وأخيراً أطلق هذا الاسم على الدولة الحديثة التي قامت في تلك البقعة .

وتعدُّ أفغانستان مهد الآريين الذين هاجروا اليهـا من سهول تركستان الغربية ، وانتقلوا من حياة الرعي والتنقل إلى حياة الزراعة والاستقرار ، فنشأت الحضارة ، وأقاموا مدينة (بَلْـخ) عاصمة لدولتهم وكانت تسمّى (باكتريا)، وعرفت

البلاد باسم اريانا نسبة إلى الآريـين ، وتعني كلمة آري النبيل .

ولما تكاثر السكان هاجرت بعض قبائلهم إلى شمال الهند، وهناك استقرت ، وبدأت حياتهـا بالتطور ، وفي الوقت نفسه هاجرت قبائل أخرى من اريانا فعمرت فارس وشمالي العراق ، ووصل بعضها الآخر إلى أوروبا . كما أن الديانة الهندوكية وجدت في أيامهـــا الأولى في أفغانستان ، ثم انتقلت إلى الهند مع القبائل الآرية ، واستمرت هناك إلى هذا اليوم بينما زالت من المناطق التي نشأت فيها . وأطلق على القسم الشمالي من أفغانستان اسم خراسان ومعنـاه أرض الشمس .

غزا الاسكندر المقدوني البلاد عام ٦٥٢ قبل الهجرة ، وأقام مدينتي (قندهار) و(هراة)، واستمر حكم اليونان بعده ما يقرب من مائتي عـــام في أفغانستان . وكان انتشار البوذية في البلاد بعد خروج اليونان في عهد الملك آسوكا ، وبقيت هي الديانة السائدة حتى ظهر الاسلام ، فحطمت تماثيل بوذا .

وفي القرن السابع قبل الهجرة تدفقت جموع من قبيلة كوشان من منطقة تركستان الشرقية ، وقامت الامبراطورية الكوشانية التي كان من أشهر حكامها « كانكشا » الذي حكم في القرن الخامس قبل الهجرة .

وعندما قويت الدولة الساسانية تقلصت قوة الكوشان ، وتتابعت إمارات صغيرة محلية بيد أمراء يحكمون البلاد باسم الساسانيين ، واستمر هذا الوضع حتى طرقت جيوش المسلمين الفاتحين أبواب المنطقة .

وصول الاسلام إلى أفغانستان :

في العام السابع عشر للهجرة أيام الخليفة عمر بن الخطاب أرسل القائد العام للجيوش الاسلامية في المشرق أبو سَبرة ابن أبي رُهْم[1] الهرمزان[2] أسيراً مع وفد فيهم أنس ابن مالك[3] والأحنف بن قيس[4] إلى أمـــير المؤمنين

---

(١) أبو سبرة : هو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب ، من السابقين الاوائل للاسلام ، هاجر مرتين الى الحبشة ، وفي الثانية كانت معه زوجه أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ، شهد مع رسول الله الغزوات كلها ، كما كان في جيش أسامة بن زيد ، ثم قاتل المرتدين ، واشترك في الفتوح ، وتوفي عام ٣٥ هـ .

(٢) الهرمزان : من الذين دافعوا عن المملكة الفارسية في الاهواز، ونقض الصلح ، مما جعل المسلمين يحملونه أسيرا الى المدينة، وقد اتهم بالاشتراك في قتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي لؤلؤة .

(٣) أنس بن مالك : صاحب رسول الله وخادمه ، ولد في المدينة ، وأسلم صغيرا وخدم النبي صلى الله عليه وسلم الى أن قبض . ثم رحل من المدينة الى دمشق ومنها الى البصرة ومات فيها ، وهو آخر من مات من الصحابة وذلك عام ٩٣ هـ . وروى عنه رجال الحديث (البخاري ومسلم) ٢٢٨٦ حديثا .

(٤) الاحنف بن قيس : أبو بحر ، سيد تميم ، يضرب به المثل في الحلم ، أحد الشجعـــان الفاتحين ، أدرك النبي صلى الله عليه =

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فسأل عمر الوفد قائلاً : « لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة ، فلهذا ينتقضون بكم » وكان يشير إلى انتقاض الهرمزان بعد الصلح الذي عقده مع المسلمين ، فقال الأحنف : « يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا ، وأمرتنا بالاقتصار على ما في أيدينا ، وإن ملك فارس بين أظهرهم ، ولا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يُخرج أحدهما صاحبه ، وقد رأيت أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم ، وأن ملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسح في بلادهم ، حتى نزيله عن فارس ونخرجه من مملكته وعزّ أمته ، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربوا جأشاً » فقال عمر : « صدقتني والله ، وشرحت لي الأمر عن حقه » ، وأذن في الانسياح في بلاد فارس[1] .

وكان أمراء الفرس قد خافوا من أن يصيبهم ما أصاب الهرمزان فحفّزهم ذلك إلى أن يوحدوا كلمتهم لدفع الفاتحين عن بلادهم ، فكتبوا إلى يزدجرد ليكون على رأس وحدتهم ، وليعمل من جانبه على دعمهم . فكتب بدوره إلى الأمصار يشجع أهل فارس ويحثهم على التكاتف والتضامن والثبات فبعث إلى كل أمير من هذه الأمصار

وسلم ولم يره شهد صفين مع علي رضي الله عنه . توفي في الكوفة عند مصعب بن الزبير عام ٧٢ هـ .

(١) الطبري ٤/٢١٨ طبعة دار القاموس الحديث للطباعة والنشر .

واجتمعوا في نهاوند حتى بلغ عددهم ١٥٠ ألفاً اجتمعوا بإمرة الفيرزان . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أمر المسلمين بالانسياح في بلاد فارس .

أخبر سعد بن أبي وقاص[١] عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بهذا الحشد العظيم ، فقرر عمر أن يسير بنفسه لمعالجة هذا الخطر الداهم ، ولكن أصحاب الرأي وعلى رأسهم علي بن أبي طالب[٢] رضي الله عنه نصحوه أن يبقى في المدينة ، ويرسل قائـــداً يعتمد عليه ليفرق شمل القوات الفارسية[٣] . فقال عمر رضي الله عنه : « أشيروا عليّ برجلٍ أوليه ذلك الثغر وليكن عراقياً » فقالوا : « أنت أعلم بجندك ، وقد وفدوا عليك » فقال : « والله لأولين أمرهم رجلا يكون أول الأسنة إذا لقيها غداً ... وهو

(١) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف الزهري ، أبو اسحاق : ولد قبل البعثة بأربع عشرة سنة ، كـــان من المسلمين الاوائل ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد رجال الشورى الستة ، فاتــح العراق وواليه . فقد بصره ، ومات في قصره بالعقيق عام ٥٥هـ أيام معاوية رضي الله عنه . وكان قد اعتزل الفتنة .

(٢) علي بن أبي طالب : أبو الحسن ، أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين ، وأحـــد العشرة المبشرين بالجنة ، وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره ، أول الناس اسلاما بعد خديجة رضي الله عنها ، ولد قبل البعثة بأربع عشرة سنة ، وقتله عبد الرحمن ابن ملجم عام ٤٠ هـ وهو يصلي الفجر بمسجد الكوفة يوم ١٧ رمضان .

(٣) الطبري : ٣/٢١٢ .

النُعمان بن مُقرِّن[1] فقالوا : « هو لها » . فكتب عمر اليه « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أميـر المؤمنين إلى النعمان بن مقرن ، سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد : فإنه بلغني أن جموعاً من الاعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند ، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ، ولا تمنعهـم حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضة فإن رجلا من المسلمين أحب إلي من مائة ألف دينار والسلام عليك »[2] .

تحصن الفرس بمدينة نهاوند ، وطال الحصار ، فأرسل النعمان القعقاع بن عمرو التميمي[3] على رأس الخيل فأنشب القتال ، فلما خرج الفرس من خنادقهم وحصونهم ، تراجع القعقاع أمامهم ، فظن الأعاجـم ان انسحاب العرب كان

---

(١) النعمان بن مقرن:أحد رؤوس مزينة،أسلم في السنةالخامسة للهجرة مع اخوته و ٤٠٠ فارس من مزينة ، واستشهد في نهاوند عام ٢١ هـ .له عشرة اخوة لهم كلهم شرف الصحبة والباع الطويل في الفتوحات الاسلامية .

(٢) الطبري ٣/٢٥٣ .

(٣) القعقاع بن عمرو التميمي : أحد فرسان العرب وأبطالهم . له شرف الصحبة ، شهد اليرموك وفتح دمشق ، وحضر أكثر معارك المسلمين مع الفرس في العراق . حضر صفين بجانب علي رضي الله عنه . كان شاعرا فحلا . قال عنه ابو بكر رضي الله عنه : « صوت القعقاع في الحرب خير من ألف رجل » . توفي عام ٤٠ هـ .

لضعف فيهم فقاموا بمطاردة العرب المنسحبين .

كان المسلمون على تعبئتهم ، وقد أمر النعمان جيشه أن يثبتوا في أماكنهم ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم .. وأقبل الفرس عليهم يرمونهم حتى أفشوا فيهم الجراح .

وانتظر النعمان حتى تمّ خروج قوات الفرس من حصونهم ... ثم ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل رايةٍ يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر ، ثم قال لهم : إني مكبر ثلاثاً ، فإذا كبَّرت التكبيرة الأولى فليتهيأ من لم من يكن تهيأ ، فإذا كبَّرت الثانية فليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض ، فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فأحملوا معي ... اللهم أعز دينك وانصر عبادك وأجعل النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك .

وهكذا استدرج النعمان أعداءه إلى حرب في العراء خارج حصونهم وخنادقهم ، حتى إذا سنحت له الفرصة حمل وحمل معه الناس ، فاقتتلوا بالسيوف قتالاً شديداً مما جعل ساحة المعركة تزخر بالدماء والاشلاء ، فزلق فرس النعمان في الدماء وصرع ، وقيل بل أصابه سهم في خاصرته فقتله ، فسجاه أخوه نُعيم بثوبه وأخذ اللواء من يده ، ودفعه إلى حذيفه بن اليمان[1] حسب وصية النعمان ، وأخفى

(١) حذيفة بن اليمان : حذيفة بن حسل بن جابر العبسي ، أبو عبدالله ، واليمان لقب حسل : صحابي من الولاة الشجعان =

نعيم استشهاد أخيه عن الناس حتى لا تضعف معنوياتهم فلما أظلم الليل انهزم الفرس ، وطاردهم المسلمون ، فلم ينج منهم إلا الشريد ، حتى وصل في مطاردتهم إلى مدينة همذان حيث استأمنهم أميرها .

وجعل المسلمون يسألون عن أميرهم النعمان ، فقال لهم أخوه مَعقل : « هذا أميركم قد أقرّ الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة » .

ودخل المسلمون نهاوند ، وكانت معركة حاسمة ، أطلق عليها المسلمون اسم فتح الفتوح ، وكان ذلك عام ٢١ هـ .

بعد فتح نهاوند قرر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يدفع قوات المسلمين إلى جميع أنحاء فارس ، فعقد بيده سبعة ألوية لسبعة قادة عهد إليهم بالانسياح في أرض فارس كلها . وكان من بين هذه الجيوش جيشان اتجها نحو المنطقة التي تسمى اليوم أفغانستان والتي كانت تحكم بإسم حكام

= الفاتحين . كان صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين ، لم يعلم أحد غيره . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا مات ميت يسأل عن حذيفة ، فان حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر ، والا لم يصل عليه . ولاه عمر على المدائن بفارس . وغزا الدينور ، وماه سندان فأفتتحهما عنوة ، كما غزا همذان والري وافتتحهما عنوة أيضا . واستقدمه عمر الى المدينة ، فلما قرب وصوله اعترضه عمر في ظاهرها ، فرآه على الحال التي خرج بها ، فعانقه وسر بعفته . ثم أعاده الى المدائن فتوفي فيها عام ٣٦ هـ ، وله في كتب الحديث ٢٢٥ حديثا .

فارس . الأول منها سار نحو منطقة سجستان وعلى رأسه عاصم بن عمرو التميمي [1] . وسجستان ناحية كبيرة وولاية واسعة تشمل اليـــوم منطقتي راجستان وسيستان ، ومن مدنها قُنْدُهار وزَرَنْج [2] ، ويقع قسم منها اليـــوم في إيران ، وهو غربي سيستان .

التقى عاصم بحماة سجستان على تخوم بلادهم ، فلم يثبتوا للمسلمين بـل انسحبوا إلى زرنج عاصمة الولايـة فحاصرهم المسلمون فيها ، وبثوا كتائبهم تتغلغل في المنطقة كلها . ولما أيقن المحاصرون أن طول الحصار يضر بمصالحم ، ولا يجد بهم نفعاً ، طلبوا الصلح على أن تكون مزارع سجستان حمىً لا يطؤها المسلمون وذلك عام ٢٣ هـ. إلا أن سجستان قد نقضت عهدها بعـد عمر بن الخطاب رضي الله عنـه ، فاستعاد عبد الله بن عامر [1] فتحهـــا في أيام عثمـان بن

---

(١) عاصم بن عمرو التميمي: أسلم في السنة التاسعة للهجرة مع قومه بني تميم فكان له شرف الصحبة ، ولكنه لم يحارب تحت لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشترك في حروب الردة وفتح العراق ، وفتح سجستان وتولى أمرها ، وتوفي عام ٢٤ هـ .

(٢) زرنج : مدينة لم يبق لها اليوم أثر . تقع في منطقة سيستان على الحدود بين افغانستان وايران في بقعة المستنقعات ، كانت مركز الولاية .

(٣) عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعـــة الاموي ، أبو عبد الرحمن ولد بمكة عام٤ للهجرة ، ولي أمر البصرة أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد عـــزل سعد بن أبي وقاص ، أرسل الجيوش فاستعاد فتح افغانستان ، عزل عن البصرة ثم تولاها

=

عفان[1] رضي الله عنه

وأما الجيش الثاني فكان بأمرة الأحنف بن قيس ووجهته خراسان[2] ففتح هراة ثم سار نحو بلخ فأخذها ، ووصل طخارستان[3] إلا أن أهل خراسان عادوا فنقضوا العهد بعد عمر بن الخطاب فعاد اليهم الأحنف أيام ولاية عبد الله بن عامر على البصرة من قبل أمير المؤمنين عثمان ابن عفان فأعاد فتحها عام ٣٣ هـ . أما منطقة هراة فقد تولى اعادتها أوس بن ثعلبة عام ٣٢ هـ.

ثانية أيام معاوية ثلاث سنوات ، ثم صرفه عنها ، فأقام بالمدينة، ومات بمكة عام ٥٩ هـ ودفن بعرفات .

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية : أمير المؤمنين ، ثالث الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ولد عام ٤٧ قبل الهجرة فهو أصغر من الرسول صلى الله عليه وسلم بست سنوات . تزوج رقية بنت رسول الله وبعد وفاتها تزوج أختها أم كلثوم . كانت في عهده فتوح واسعة ، وهو أول من زاد في المسجد الحرام ومسجد الرسول ، واتخذ دارا للقضاء ، وقدم الخطبة في العيد على الصلاة ، وأمر بالاذان الاول يوم الجمعة ، واتخذ الشرطة ، وقتل شهيدا عام ٣٥ هـ .

(٢) خراسان : منطقة واسعة تقع بين هضبة ايران وسفوح جبال هندكوش وتلال بلاد ما وراء النهر ، وهي اليوم ضمن ثلاث دول:
١ ـ افغانستان : ومن مدنها هراة وبلخ .
٢ ـ ايران : ومن مدنها نيسابور .
٣ ـ تركمانستان التي تخضع للسيطرة الروسية ومن مدنها مرو حاضرة خراسان كلها وقتذاك .

(٣) طخارستان : المنطقة الافغانية التي تقع شرقي مدينة بلخ ، وهي بلاد جبلية .

واغار عبد الرحمن بن محمد[1] على مدينة كابُل عام ٨٠ هـ أيام خلافة عبد الملك بن مروان[2] . وكان السكان ينقضون العهد كلما رأوا من المسلمين شيئاً من الضعف ، وأخيراً أعاد قتيبة بن مسلم الباهلي[3] فتح مدينة بَلْخ عام ٨٦ هـ

وغزا العباسيون المنطقة عدة مرات ، ولكن قبضتهم عليها كانت متراخية . ولم يأت منتصف القرن الثاني للهجرة إلا وأصبحت المنطقة إسلامية .

ولكن الحكم الإسلامي الجامع لم يطل إذ بزغ قرن

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندي : عامل الحجاج على المشرق ، ثم خصمه وقائد معركة دير الجماجم ضده ، لجأ أخيرا الى رتبيل ملك الترك فيما وراء سجستان الذي قتله وسلم رأسه الى الحجاج بعد تهديده من قبل الحجاج ، فنقل الرأس الى عبد الملك في دمشق وذلك عام ٨٥ هـ .

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموي القرشي ، أبو الوليد : من اعاظم الخلفاء ودهاتهم . نشأ في المدينة ، فقيها واسع العلم، متعبدا ، ناسكا . وشهد يوم الدار مع أبيه . واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة . وانتقلت اليه الخلافة بموت أبيه عام ٦٥ هـ فضبط أمورها ، وظهر بمظهر القوة ، فكان شديدا على مخالفيه ، قوي الهيبة . واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل عبدالله بن الزبير . نقلت في أيامه الدواوين الى العربية ، وهو أول من صك الدنانير في الاسلام ، توفي في دمشق عام ٨٦هـ .

(٣) قتيبة بن مسلم الباهلي ، أبو حفص : أمير فاتح ولد عام ٤٩ هـ ، وتولى الري أيام عبد الملك بن مروان ، وخراسان أيام ابنه الوليد ، فتح بلاد ما وراء النهر ، وغزا تركستان الشرقية، ففتح كاشغر ، واستمرت ولايته ثلاث عشرة سنة . قتل أيام سليمان بن عبد الملك الذي كان على خلاف معه عام ٩٦ هـ .

العصبية ، وقامت الدعوة اليها ، وبينما كان الإسلام يجمع الأمة كرجل واحد بدأت العصبية تجزئها ، فتفرقت ، وتقطعت أوصالها ، وما استحكمت العصبية في أمةٍ إلا فرقتها فرقاً ، ومزقتها مزقاً ، وجزأتها قطعاً ، وما تفرقت أمة إلا ذلت ، وما أصاب الذل أمة إلا سطا عليها أكثر أهل الأرض شراً ، وأقلهم قدراً ، وأحطهم أمراً .

أسس طاهر بن الحسين[1] الدولة الطاهرية في مرو[2] ونيسابور[3] مستفيداً من العصبية الفارسية ، واستمر حكم هذه الدولة حتى عام ٢٥٩ هـ/ ٨٧٢ م . ثم تلتها الدولة الصفارية[4] حتى عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م فالسامانية[5] حتى عام ٣٨٤ هـ /

---

(١) طاهر بن الحسين ، أبو الطيب ، وأبو طلحة : من كبار الوزراء والقواد ، أدبا وحكمة وشجاعة ، ولد عام ١٥٩ هـ في بوشنج من أعمال خراسان ، وسكن بغداد ، فاتصل بالمأمون في صباه ، وهو الذي وطد حكمه ، وقتل الامين عام ١٩٨ هـ ـ ٨١٣ م فتولى طاهر شرطة بغداد ، ثم ولاه خراسان عام ٢٠٥ هـ ـ ٨٢٠ م ، فلما استقر في خراسان قطع خطبة المأمون ، فقتله أحد غلمانه عام ٢٠٧ هـ ـ ٨٢٢ م ، وقيل مات مسموما ، ولكن استمر احفاده يحكمون خراسان بأسم الدولة العباسية .

(٢) مرو : مدينة في خراسان كانت عاصمة المنطقة ، وتقع اليوم في البقعة التي سيطر عليها الروس ضمن جمهورية تركمانستان .

(٣) نيسابور : مدينة في خراسان تقع اليوم في ايران .

(٤) كان الصفوريون يحكمون منطقة سجستان ثم امتد نفوذهم حتى شمل القسم الشرقي من الدولة العباسية كله .

(٥) السامانية : أسس هذه الدولة احمد بن أسد ، كان واليـا للعباسيين على بـلاد ما وراء النهر ، واستقل ابنه نصر في بخارى ، ثم امتد سلطان هذه الدولة الى بلاد الافغان .

٩٩٤م ، فالغزنوية[١] حتى عام ٤٢٧ هـ/١٠٣٥ م ثم الغورية[٢] ودولة السلاجقة[٣] والخوارزمية[٤] والمغول[٥] . ثم جاء

---

(١) الغزنوية : أسسها ألب تكين الذي دخل في خدمة السامانيين، فولوه خراسان ، ثم اختلف معهم فذهب الى غزنة دولة هناك امتد سلطانها حتى شمل افغانستان كلهـــا وأقليم البنجاب في حوض نهر السند . ومن ملوكها الفاتحين سبكتكين وابنه محمود المعروف بالغزنوي .

(٢) الغورية : ينسب الغوريـــون الى غور من أقاليـــم جنوبي أفغانستان في جبال هندكوش ، ثـــم وسعوا حدود بلادهم ، وجعلوا عاصمتهم مدينة دهلي،وفتحوا البنغال، وسيطروا على الهند ، ولكن الدولة الغورية تفككت عراها بعد أيام السلطان غياث الدين بن سام ، وظل هذا التفكك زمنا طويلا حتى جـــاء المغول .

(٣) السلاجقة : فرع من الترك الطوقوز أو غوز قد هاجروا جنوبا بغرب منسهوب التركستان واجتازوا ما وراء النهر،حيث اعتنقوا الاسلام،ثم اخترقوا آنئذ فارس وبلغوا بلاد الجزيرة والشام،ثم دخلوا في الاناضول،وهناك جابهوا البيزنطيين،وانتصروا عليهم، واصبحوا سادة جنوب غربي آسيا جميعا ، ولهم السلطـــان الحقيقي على الدولة العباسية في بغداد .

(٤) الخوارزمية : فرع من الترك ابتدأ نفوذهم في جنوب بحيرة خوارزم ثم اتسعت دولتهم على حساب السلاجقة الى ان جاء المغول فقضوا عليهم .

(٥) المغولية : أسسها جنكيز خان الذي قـــدم من غرب الصين واجتاح بجحافله خوارزم واستولى على بـــلاد التركستان ، واستمر التقدم من بعده حتى وصل المغول الى بحر البلطيق في اوروبا ، كما أزالوا الدولة العباسية على يد سفاحهم هولاكو ، ولكنهم هزموا اخيرا امام المماليك . واستقروا في البلاد التي فتحوها وتأثروا بسكانها فاعتنقوا الاسلام في غربي آسيا ، ثم جدد دولتهم تيمورلنك .

الأوزبك[1] والصفويون[2] والأفشار[3] ، وكلها تعتمد على القبلية والعصبية .

هذه العصبيات لم يكن لها أي مبرر ، ولم يكن لها أي وجود لولا الأطماع الشخصيـة من الحكام الذين نادوا بها ليسندوا بها حكمهم ، وليختلفوا بها عن الآخرين — فإذا لم يختلفوا عن غيرهم فلا داعي لوجودهم — ، واسرع الحاكمون آنئذٍ في أحياء لغات محلية اندثرت ولهجات إقليمية زالت منذ أن جاء الإسلام بلغته العربية . واغدق هؤلاء الحكام على الشعراء الأموال الكثيرة ، ونال العلماء أعطيات كبيرة لقاء ما كتبوه في لغاتهم الخاصة ، وظهرت مراكز كثيرة

(١) الاوزبك : وهم جماعة من الترك كانوا آخر موجة من غزاة البدو المحاربين القادمين من السهوب ، وقد قدر لهم ان يحكموا ما وراء النهر ، ودانوا بالاسلام ، واستمروا في حكمهم المنطقة حتى جاء الاستعمار الروسي .

(٢) الصفويون : وقد أنشأ دولتهم الشاه اسماعيل الصفوي سليل الشيخ صفي الدين الاردبيلي الذي يقول عنه مؤرخوه أنه من احفاد موسى الكاظم سابع الائمـــة في عقيدة الشيعة الاثني عشرية . وكان حيدر والد الشاه اسماعيل شيعيا متعصبا ، وقد أوجد لجمـــاعته قلنسوة حمراء ذات اثنتي عشرة ذؤابة رمزا للائمـــة الاثني عشر ، ولهـــذا اسموا « قزلباشية » ، واصطدموا مع العثمانية ، وقد دام حكمهم حتى عام ١١٤٩ هـ ١٧٣٦ م .

(٣) الافشار : وقد أسس دولتهم طهماسب قولي خان الافشاري ، ومن أشهر ملوكهم نادرشاه وانتهت الدولة ١١٦٢هـ — ١٧٤٩م بعد سيطرة القاجار الذين حكموا فارس حتى عام ١٩٢٥ . وقد حاول نادرشاه أن يعيد مذهب السنة الى فارس .

للحضارة كلها تريد أن تضاهي بغداد مركز الخلافة الاسلامية فكانت مرو وغزنة وبخارى وسمرقند وغور ودهلي .

وانهارت تلك الدويلات الواحـدة تلو الأخرى لأنه لم يكن لها مقومات الدولة ، فكلها تعتمد على العصبية ، فلا يكاد الأمر يستقر لها حتى تقوم غيرها ، ولا تكاد تطمئن حتى تضمحل وتزول . فالحكم كان يعتمد على قبائـــل صغيرة أحياناً ، فقامت في كل ناحية دويلة ، واستبد في كل جهة ملك ، وحكم في كل مدينة سلطان ينافس الآخرين ، يعلو عليهم تارة ، ويخضع لغيره أحياناً .

هذا التفكك الذي أوجدته العصبية لم يعد بالإمكان التغلب عليه ؛ فقد أنقلب الحكم إلى نزعات محلية وعصبيات موضعية ، وصارت المنطقة كلها هدفاً لغير ساكنيها ، ومطمعاً لغير أهلها . فقد اتجهت انظار الانكليز إلى البلاد فداهموها من جهة الجنوب ، وفي الوقت نفسه كانت روسيا تتجـه من الغرب ، وتبتلع منطقة بعد أخرى .

وفي عام ١١٦٠ هـ/١٧٤٧ م ، تولى أحمد خـان الحكم منقذاً البلاد من الفوضى التي حلت بهـــا بسبب تنازع المغول والصفويين وغيرهم عليها وأسس أسرة حكمت البلاد وعرفت بإسم الأسرة الدورانية نسبة اليه تسمى (دري دورانية) أي درة العصر ، وكان مركز حكمه قُندُهار إلا أن ابنه وخليفته تيمور شاه قد نقله إلى مدينة كابُل

التي أضحت العاصمة منذ ذلك الوقت ولا تزال . وكان آخر ملوك هذه الأسرة شجاع الملك الذي طلب المساعدة من بريطانية ضد منافسة أسرة جديدة تزعمها محمد زائي . وقد مرت البلاد بأزمة عصيبة منذ ١٢٠٧ هـ قامت إثر وفاة تيمور شاه حتى تم الأمر لمحمد زائي ١٢٥٠ هـ .

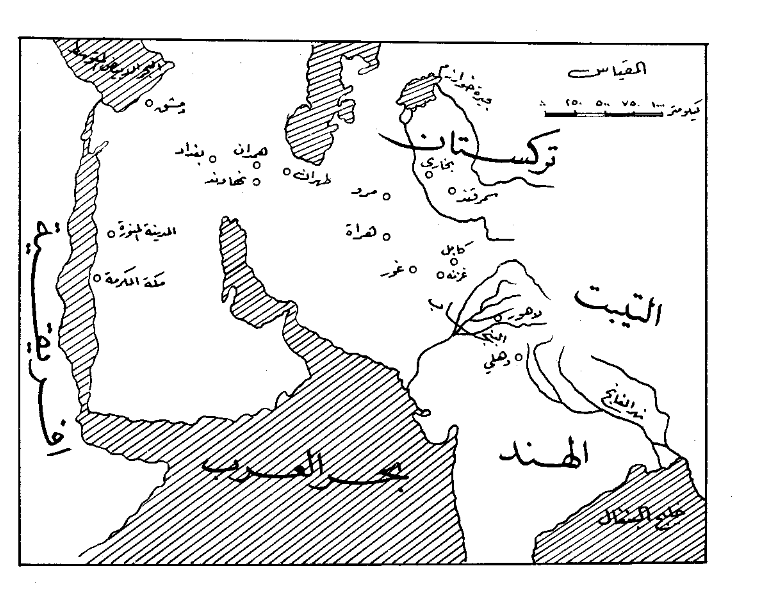
وقد خاضت بريطانيا حربين ضد الأفغان ، ووجدت مقاومة عنيفة ، ومنيت بخسائر كبيرة . وكانت أول هاتين الحربين ١٢٥٥ — ١٢٥٨ هـ / ١٨٣٩ — ١٨٤٢ م ، وقد خسرت بريطانيا فيها جيشاً كاملاً عندما انقضّ محمد زائي على الجيش البريطاني المنسحب عند حدود البلاد . ثم رأت أن تعقد معه معاهدة صداقة ، لكنها عادت فنقضت العهد ودخلت مدينة قَنْدَهار ١٢٧٢ هـ / ١٨٥٥ م ، ومدينة هراة ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ م . وفي الوقت نفسه كانت روسيا قد أخذت جزءاً من خراسان عام ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م . وعقدت اتفاقية بين الروس والانكليز لجعل نهر جيحون حداً للتوسع الروسي وهذا ما جعل النفوذ الانكليزي يتوسع مما حدا بالسيد شير علي بن محمد زائي إلى طلب المساعدة الروسية ، وأدى ذلك إلى نشوب الحرب الثانية عام ١٢٩٥ — ١٢٩٦هـ ١٨٧٨ — ١٨٧٩ م — وكان الروس قد سيطروا على تركستان الغربية كلها — وإذا خسر الانكليز في هذه الحرب أعداداً كبيرة من قواتهم إلا أن البلاد قد أصبحت تحت سيطرتهم

ولكن كراهيـة الأفغانيين للمستعمرين أجبرت الدخلاء أن يغادروا البلاد ، وبقيت بلاد الأفغان تحت حكم عبد الرحمن ابن أخ شير علي الذي ارتبط مع الانكليز بمعاهـدة تقيد استقلاله .

لم تقنع بريطانية بمعاهدة القيد هذه وقد لحظت ضعفاً من جانب حبيب الله الملك الجديد . فالحاكم الضعيف يطمع خصومه فيه ولو كانت قواته كبيرة وحصونه منيعة ، وإذا جنح للسلم أملى أعداؤه شروطهم ولو كان هو الأقوى وهو المنتصر . ولذا أمرنا ألا نطلب الصلح وألا نسعى وراءه ، بل إن على خصومنا أن يطلبوه وعندها يمكن أن نوافق ويمكن أن نرفض حسب الأوضاع التي نحن فيها قال تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله[1] » لم يأمرنا تعالى أن نطلب الصلح بل إنه أذن لنا بالموافقة عليه إن طلب منا . إن القائد الذي يرفض الصلح[2]، ويتمسك بآرائه ويصر عليها هو الأقوى ، وإن كتبت عليه الهزيمة في بعض المعـــارك ، وإن الجيش الذي يستعلي بأفكاره ويطلب الاستمرار في الجهاد إلى النهاية هو العزيز وإن كان النصر يلوح في جـانب عدوه ، وعندما يرغب في الصلح وترك القتال تقل مهابتـه في عيون الآخرين فتقوى معنوياتهم

(١) الانفال ٦١ .

(٢) ولا صلح مع من يدخل أرضنا .



المقياس
كيلومتر ١٠٠٠ ٧٥٠ ٥٠٠ ٢٥٠ ٠
بحيرة خوارزم
تركستان
بخارى
سمرقند
موصل
بغداد
همدان
نهاوند
طهران
مرو
هراة
كابل
غزنه
غور
المدينة المنورة
مكة المكرمة
التيبت
لاهور
دهلي
نهر الغانج
الهند
بحر العرب
خليج البنغال
افريقية

وتضعف معنويته وتلحق الخسارة به . وقد يكون الجيش قوياً صلباً ولكن آمره ضعيف الرأي لا عزيمة له فيبدو الضعف على الجيش كله فاذا ما استبدل بالقائد قائد آخر قوي استبسل الجند وانتصر الجيش وإن كانت الخطة هي نفسها ، والخصم هو ذاته ، والسلاح هو السلاح لم يتبدل ، وهذا ما ظهر في أفغانستان إذ دخل الروس البلاد متجهين نحو مدينة هراة فأسرع الانكليز وأوقفوا التقدم الروسي . وبمعاهدة رسمت الحدود تماماً بين النفوذين .

وتولى الأمر بعد عبد الرحمن ابن أخ شير علي ابنه حبيب الله وذلك عام ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م الذي كان مرتبطاً بحكومة الهند الانكليزية أيضاً ، ونتيجة لذلك فقد قتل حبيب الله ، واعتلى العرش نجله الثالث أمان الله ، فاتخذ لنفسه لقب ملك افغانستان في عام ١٣٣٧ هـ / ١٩١٦ م ، إذ سار على سياسة الاستقلال أي عدم الارتباط بالسياسة الانكليزية فقامت الحرب بين الطرفين انتصرت فيها القوات الأفغانية بقيادة السردار محمد نادر خان ، واضطرت بريطانيا إلى الاعتراف باستقلال أفغانستان التام .

لكن هذا الملك الشاب غرّه السلطان ، وخدعته ابهة الحكم فترك شؤون البلاد وانصرف إلى الصيد وركوب الخيل ، وبهره تقدم أوروبا العلمي فأراد أن يحذو حذوها . وكان أكثر ما فتنته المظاهر الخداعة من لباس واختلاط

وسفور ومتعة - وحبذا لو أعجبه من أوروبا إقامـة المصانع وتطبيق العـلم على العمل - ورأى شعبه الفقير البائس وظن أنه يسير وراءه ، واعتقد أن سبيل دخول المدينة إنما هو اللباس والزي ، فكان يزدري لباس قومـه وعاداتهم فكرهه الشعب ومما زاد في كراهيته سوء الادارة الذي من شأنه أن يزداد على نطاق واسع عندما تكون جفوة أو فجوة بين الحاكم والمحكوم ، وكثرة الضرائب ، وفقر الشعب في الوقت الذي يظهر البذخ والترف في قصر الملك وبيوت حاشيته . وتضايق الملك مـن صلة قائده محمد نادر خان بالشعب ، فبعثه سفيراً له إلى فرنسا .

وقرر الملك القيـام برحلة إلى أوروبا تستغرق وقتاً ، وسافر عام ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م إلى بومباي وهناك استقبل استقبالاً فخماً ، وظهرت نساؤه سافرات وفي أحدث الملابس الأوروبيـة ، وكذا نساء حاشيته تتقدمهن زوجته ثريا ، وشاع الخبر في البلاد فتعمقت الفجوة وامتدت جذور النقمة حتى إن سفيره محمد نادر خان وهـو من الأسرة الحاكمة استقال من منصبه احتجاجاً على هذا المظهر . وكان الانكليز من الذين روّجوا لهذه الأخبار ونشروا الصور لغاية يريدونها وسياسة يتبعونها .

وعاد الملك أمان الله خان إلى قاعدة حكمه في كابل ، وأصدر أوامره باتخاذ الزي الافرنجي ، وشجع على سفور

النساء، وأرسلت بعض الفتيات للدراسة في استانبول دون محرم .

إن الشعب الأفغاني الفقير الذي يحمل عقيدة الاسلام والذي لم يتعود مثل هذا الأمر – وشديد على الانسان ما لم يعود – قد هاله الأمر، ولا يمكن للمرء أن يسكت على ما يمس عقيدته فابتدأت الثورة . وإذا كان بعض المخدوعين من الحكام يظنون أن الشعب الفقير يمكن أن يسكت لذا عليهم أن يتبعوا سياسة الإفقار لضمان سكوته، وإذا كان بعضهم يظن أن مخالفة الشعب لبعض جوانب الشريعة دليل على رضاهم عن المخالفة، وإذا كان بعضهم يعتقد أن الميل نحو الشهوة والسعي وراء المصالح والانجراف في التيار والانحراف الموقت عن الطريق الصحيح دليل لامكانية حمل الناس على سلوك الدرب التي يسلكها القائد . فلا ريب في أن هذا هو التفكير الخاطىء لأن في الاسلام قوة كافية إذا ما انطلقت عصفت بكل ما تجده أمامها، وإن في الشعوب الاسلامية طاقة كامنة إذا ما برزت أطاحت بمن يقف في طريقها فكم من طاغية غرّه سكوت شعبه فاذا بحادثة يسيرة شحنت المجتمع بعاطفة الدين فانبعث يهدد كل جبار، ويقضي على كل باغ .

اندلعت الثورة ضد أمان الله خان، وامتد لهيبها على المناطق الشرقية كافة، فاستغل الأمر أحد قطاع الطرق

وهو باجي السقا (ابن السقا) ، واستولى على كابُل ، وفر أمان الله خان إلى مدينة قُندُهار ، وهناك تنازل لأخيه الأكبر عناية الله ، ولكن أنّى لهذا بالاستمرار والنقمة عارمة فلم يلبث أن ترك الحكم ، وغادر البلاد إلى بريطانية ليعيش فيها ، وخلا الجو لإبن السقا فأعلن عن نفسه ملكاً على أفغانستان باسم « حبيب الله غازي » . وتسلطت عصابته على البلاد والعباد ، وعاث أفرادها فساداً .

عاد محمد نادر خان إلى بلده ، واستطاع القضاء على ابن السقا في نهاية عام ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م . وكان قد مضى على حكم ابن السقا تسعة أشهر ، فأعدم شنقاً ، وقام محمد نادر خان بأعباء الحكم ، فقدم خدمات واسعة للبلاد ، وسار سيرة حميدة ، فقضى على الرشوة والفساد ، ولكنه اغتيل عام ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م . على يد أحد أبناء الذين شملهم الاعفاء من المنصب لسوء تصرفهم . واستلم الحكم بعده ابنه محمد ظاهر شاه ، وهو شاب في التاسعة عشرة من عمره ، وكانت حياته الأولى استمراراً لعهد أبيه ، وحكم ما يقرب من خمس عشرة سنة على هذه الخطة ، ثم بدأ طريق الانحراف عن الجادة ، وصارت تنفرج زاوية هذا الانحراف حتى كانت النهاية .

كانت دول العالم الإسلامي وأمصاره قد وقعت تحت نير الاستعمار والسيطرة الأجنبية إثر الحرب العالمية الأولى

وقبلها ، ولم ينج منها سوى أفغانستان والجزيرة العربية .
وسعى الدخيل إلى نشر المفاسد واشاعـة الرذائل فانتشر السفور والحسور وعم الاختلاط ، وكان التقليد تقليـــد الضعيف للقوي وليس الضعيف هو المغلوب وإنما الضعيف نفسياً المنهزم فكرياً ، لأن الضعيف الذي هزم في المعركة واستعلى بفكرته وتعالى بمبدئه فهو الذي يؤثر في غالبه ، ويُخضع الذي انتصر عليه لأفكاره فقد رأينا المغول وهم في أوج قوتهم وعنفوان مجدهم يخضعون لاثر السكان ويدينون بعقيدة المجتمع الإسلامي وهكذا كان احفاد الطاغية هولاكو مسلمين . ولكن الضعيف نفسياً هو الذي يشعر بالضعف أمام رئيسه أو المسؤول أو حاكم بلده فيقلده شبراً بشبر ، لقد بدأ التقليد بالاستقبالات ، وسارت نساء الموظفين الكبار على غرار نساء الموظفـين الأجانب والمستشارين ، وسرت هذه المادة ، ووضع الذين يظنون أنفسهم أنهم عمالقة – وهم أقزام – بناتهم في مدارس التبشير ومدارس المستعمرين وكان الاختلاط وسرى في المجتمع حتى عم أو كاد .

ورأت المناطق التي نجت من الاستعمار ما حل بشقيقاتها فاتخذت موقفاً سلبياً من التقدم العلمي ، ورفضت كل ما جاء من هناك ، واستطاعت أن تقي نفسها أو تحمي مجتمعها ولكن إلى حين من الدهر ، ولا أقول إن المسلمين كان عليهم أن يقفوا هذا الموقف السلبي كما أني لا أقول إن

عليهم أن يسيروا وراء تلك الخطوات الواسعة والأشواط البعيدة وراء حضارة أوروبا وإنما أقول علينا أن نأخذ ما يتفق مع مبادئنا وندع ما يتعارض معها ، نقلدها في العلم وإقامة المؤسسات وانشاء المعامل وتطبيق العلم على العمل ، ونترك ما يفسد أخلاقنا ويسفه أحلامنا ويعيب مبادئنا .

ولكن أوروبا ومن سار وراءها من عالمنا قد أطلقوا اسم الرجعية على أولئك الذين وقفوا موقفاً سلبياً أمام كل ما جاء من أوروبا ، وكانت هذه الكلمة انذاراً خطيراً لهم فإما أن يثبتوا ولا يبالون بما تقوله الدنيا ما داموا يعلمون أنهم على حق وهذا ما يجب أن يكون موقفهم ليظهروا قوتهم وليوضحوا شخصيتهم وليميزوا أمتهم ، وإما أن ينحنوا أمام هذه الكلمة ويفتحوا بلادهم لكل فكرة تدخلها حيث تشاء ، وهذا موقف الضعفاء ، موقف المترددين الذين كانوا يخشون على أنفسهم فيقفون ذلك الموقف.

وجاء عام ١٣٧٩ ﻫ / ١٩٥٩ م وإذا بأفغانستان تنفتح أمام الحضارة الأوروبية وتأخذ منها بجشع كل ما فيها من سوء ومن خير ، وليتخلص بعض زعمائها مما يعانون من ضعف أمام المد الفكري الاستعماري .

يقول أبو الحسن الندوي لقد أصبحت الأقطار الشرقية — من غير استثناء تقريباً — فريسة الحضارة الغربية في الزمن الأخير ، وانجرفت في سيلها العارم من غير امتناع أو

مقاومة ، لفقد العقل الراجح المتزن في القيادة وفقد « عملية التمييز والاختيار المحكمة » في الوجهين ، وعدم وجود التصميم أو التخطيط الحكيم في نظام المعارف وتنظيم البلاد تنظيما جديداً قائماً على التجارب الحديثة . وبسبب وجود نظم وأوضاع كانت نتيجة الانحراف عن التعاليم الإسلامية الصحيحة ، لا يقرها العقل والعدل ، ولا تصلح للبقاء في أي عصر من العصور فضلاً عن هذا العصر القلق الثائر .

وهذه قصة افغانستان التي عرفت في الشرق بشدة محافظتها وتمسكها بالقديم والتقاليد الأفغانية القديمة ، فقد استطاعت أن تعيش بعيدة عن تأثير الحضارة محتفظة بتراثها القديم من ثقافة واجتماع تزهد في الجديد الصالح حتى رفعت الحجاب بينها وبين الحضارة أخيراً ، وبدأت تهجم على الحضارة الغربية وعاداتها وتأخذها بنهامة وشغف .

وقد حدثت هناك ثورة في الأوضاع في خلال ٣٢ سنة فالمجتمع الأفغاني الذي ثار على أمان الله خان الأمير العريق في الملك والشرف لأجل (اصلاحات) وتطويرات قام بها ، اضطرته تلك الثورة إلى التنازل عن العرش والجلاء الدائم أصبح هذا المجتمع الافغاني يقبل إلى المدنية الحديثة وأوضاعها المخالفة للتقاليد الاسلامية الافغانية بخطى سريعة واسعة ، وأصبحت أفغانستان المحافظة المصونة تتطور تطوراً سريعاً لا يعرف أحد مداه ونهايته ، ويستطيع الإنسان أن يقدر

ذلك بما نقدمـ ، تقرير لأحد الصحفيين الأوروبيين ، يقول المراسل الأوروبي الشهير Ritchie Coliler للصحيفة الهندية الانكليزية Times of India وقد حضر عيـد الاستقلال الأفغاني عام ١٩٦٣ م في عددها الصادر — ٢٨ تموز ١٩٦٣ م - ١٣٨٣ هـ

إن الالعاب النارية الواسعة النطاق (التي لم أرها في أفغانستان من ذي قبـل) كانت تثير هتافات وتصفيقات نصف مليون متفرج ، وهكذا كانت أفغانستان باسبـوع عيد استقلالها ، وقال لي وزير خارجية أفغانستان (الذي كان بجواري على المقاعد الملكية على شاطىء البحيرة حيث كانت الألعاب الناريـة متواصلة مستمرة) إنك لم تحسن الوقت الذي تزور فيـه هذه البلاد نحن نحتفل الآن بعيد الاستقلال ونحن في متعة وفرح لا نستطيع أن نتحـدث معك عن تفاصيل مشروعاتنا التقدمية لخمس سنوات .

قلت له : « يا صاحب المعالي ! إنها فرصة حسنة لائقة وهي أفضل مناسبة لاختبار مآثر بلاد ومـدى تقدمها ، انني أريد أن أرى السيدات الافغانيات باسمات » وهنالك تقدمت الينا فتاة أفغانية جميلة وابتسمت .

إن ذلك يلقي ضوءاً على مـدى التطور الذي نشأ في افغانستان أقوى من الأضواء التي كانت تنـير كابل ، بالتخطيط الكهربائي ومن مبانيها كلها والصناعات الحديثة

ومن الرقي المادي كله .

كانت نساؤها متمسكات بالحجاب قبل ثلاث سنوات ، وإن سمح لهن أن يخرجن لمثل هذه المناسبات ، فكن يأتين اليها متغطيات بالملاءة والأردية التي تغطيهن من الأرجل إلى الرؤوس ، ويخفي وجوههن القناع الذي فتحت منه ثقوب للنظر .

ولكن الآن تغير كل شيء ويشاهد اليوم عدد كبير من النساء اللواتي يشهدن الحفل مستترات بالأقنعة التي تميزهن ولم يتعودن إلى الآن ان يكشفن عن وجوهن بحرية وانطلاق ، ولكن الأغلبيـــة الساحقة من النساء أصبحن سافرات . يعسر على الذين يسكنون خـارج أفغانستان أن يقدروا مدى تأثير هذا التطور على نساء الأفغان ، وقد خلع العلماء الملك أمان الله خان ، وحرم عرش آبائه قبل ٣٢ عامـاً لأنه سمح لعقيلته أن تخرج سافرة[١] .

بدأت نساء الأفغان يخرجن سافرات منذ عام ١٣٧٩ هـ إثر منشور ملكي سمح للنساء بالسفور ولم يفرض ذلك عليهن فرضاً[٢] .

ويوجد التعليم المختلط في جامعة أفغانستان اليوم ، وكانت

---

(١) الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الاقطـار الاسلامية ـ ابو الحسن علي الحسني الندوي ص ٢٢ ـ ٢٤

(٢) المصدر السابق ص ٢٥ .

الطالبات في السابق ، يأتين متغطيات بالأردية والملاءة الساتر
ويدرسن في الصفوف المنقطعة عن الطلاب[1] .

والإسلام لم يحرم تعليم النساء كما يزعم ذلك بعض أعدا
الإسلام والجاهلين من أبنائه ، وإنما جعل تعليمهن واجب
ولكنه تعليم يكيف وفق طبيعتهن ومهمتهن الأساسية في
المجتمع [وإذا كان التعليم الديني يأتي بالدرجة الأولى إ
أن بقية العلوم تأتي بالدرجة الثانية ، وأهمها ما يتعلق
بطبيعة المرأة والأعمال التي يمكن أن تمارسها بفطرتها أو
للضرورة] .

إن من طبيعة الرجل أن يكون مؤهلا للعمل
وقطع أشجار الغابة وفتح الانفاق وسياسة البلا
وقيادة الجيوش وتحمل المصاعب وتجشم المخاطر
ومن طبيعة المرأة أن تعمل في تنشئة الجيل والتعليم والخياط
والطب النسائي والتمريض . وكما أن الرجل تصعب عليه
حضانة الرضع فان المرأة يشق عليها السير في الصحاري
مع القوافل وغيرها من الأعمال التي تنسجم مع فطرة الرجل

وإذا كانت بعض الأصوات ترتفع داعية لخروج المرأ
إلى العمل ، وترك مسؤولية البيت إلى الخدم فان هـذ
يتعارض مع تعليم المرأة بالذات فنحن نريد أن يتعلم
جميعاً لا أن تكون طبقة متعلمة وأخرى جاهلة تنصرف

---

(١) المصدر نفسه ض ٢٦ .

لى الخدمة ليتسنى لتلك أن تترقى في المناصب على حساب لمنزل الذي يتعرض بخروجها منه إلى الضياع . وليس في لاسلام طبقات لكل طبقة ميزات وأعمال خاصة تزاولها .

ولما كانت هناك ضرورات تحوج المرأة إلى العمل فان لها أعمالها الخاصة التي يمكن أن تمارسها فالبيع والتعليم والتمريض والطب ضمن شروط منها : الحشمة وعدم لاختلاط والساعات المحددة التي تخرج فيها من بيتها . فالتعليم لا يصح أن يكون مختلطاً ، ونصاب المعلمة يجب أن يكون بقدر نصف نصاب المعلم تقريباً كي لا تغيب عن بيتها سوى هذا الأمد القصير ثم تعود اليه بعدها لأن الأطفال لا غنى لهم عنها في رعايتهم وتربيتهم ، وفي الوقت نفسه نستطيع أن ندفع إلى العمل ضعف عدد النساء ونعيل بالتالي ضعف عدد الأسر،والمرأة بمسؤوليتها المادية محدودة أمام مسؤولية الرجل الملقى على عاتقه الجانب المادي بأكمله.

أما الأعمال الأخرى من سياسية واقتصادية وإدارية وصناعية فهي من اختصاص الرجل ولا يجدر بها أن تنافسه عليها لأننا إن فعلنا أوجدنا عدداً من العاطلين عن العمل وبالتالي جعلنا عدداً من الأسر فقيرة بحاجة إلى معونة ومساعدة لأن رجالها لا يجدون عملا ، وبدلاً من أن نخفف البطالة ونقلل من الحاجة نكون قد زدنا فيهما أو سعينا في تفاقمهما وخاصة إذا علمنا ان أكثر النساء

العاملات ينفقن مرتباتهن على الكماليات والظهور الخاص بهن حسب أهوائهن وبالتالي لا يعود على البيت من المال إلا القليل بينما نرى الرجال الملقى على كواهلهم أمر الأسرة المادي لا عمل لهم .

واستمر حكم محمد ظاهر شاه حتى قام انقلاب ضده يتزعمه ابن عمه السردار محمد داود[1] يوم الثلاثاء ١٧ جمادى الثانية ١٣٩٣ هـ / ١٧ تموز ١٩٧٣ م ، وقد أعلن الانقلاب قيام الجمهورية والغاء النظام الملكي .

السكان : يقيم على أرض افغانستان التي تبلغ مساحتها ٦٥٠,٠٠٠ كيلو متراً مربعاً أكثر من ١٩,٠٠٠,٠٠٠ نسمة وهو عدد قليل بالنسبة إلى هذه المساحة الواسعة ، لذا تعدّ من البلاد قليلة الكثافة إذ لا تزيد على ٢٨ شخصاً في الكيلو المتر الواحد وذلك بسبب كثرة المرتفعات التي تشغل أكثر من ٨٠ ٪ من المساحة العامة للبلاد إضافة إلى المناطق الأخرى شبه الصحراوية التي تشكل مساحات

(١) السردار محمد داود : ابن عم الملك وزوج شقيقته ضابط في الجيش الافغاني ، درس في مدينة كابل ، وأتم دراسته العسكرية في فرنسا . عين عام ١٩٣٢ م حاكما على مقاطعة قندهار أيام محمد نادرشاه . وفي عام ١٩٣٧م عين قائدا لقوات المنطقة الوسطى ومديرا للكلية الحربية . أستلم رئاسة الوزارة ١٩٥٣ م بالاضافة الى وزارتي الداخلية والدفاع ، واستمر في حكم البلاد مدة عشر سنوات أي حتى عام ١٩٦٣ م نحي عن الحكم ، ثم قاد انقلاب ١٩٧٣ م ضد ابن عمه الذي كان غائبا عن البلاد في رحلة على الشواطىء الاوروبية .

واسعة أيضاً ، وان مهنة الرعي التي يمتهنها ٤٠ ٪ من السكان لا تساعد على الازدحام كما هو شأن الزراعة الراقية أو الصناعة أو التجارة .

وإذا كانت أفغانستان من البلاد التي تكثر فيها الولادات شأنها في ذلك شأن بقيـة الأمصار إلا أن نسبة الوفيات ترتفع أيضاً بسبب تأخر الناحية الصحية إذ لا تزال البلاد في أول عهدها في التقدم العلمي كما أن قسوة المنـــاخ والعوامل الطبيعية تلعب دوراً هاماً في هذا المجال .

وتبلغ الزيادة السنوية ١٢ بالألف وبهذا يزداد السكان ١٩٢,٠٠٠ نسمة في كل عام ، ويرتفع سكان البلاد مليوناً كل خمسة أعوام .

المجموعات الجنسية : ليست هناك أية قيمة أو أفضلية للانتماء لمجموعة جنسية معينة فالناس سواسية كأسنان المشط ، ولا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى ، وأكرم الناس عند الله اتقاهم ، وإذا كنا نتحدث عن المجموعات الجنسية في بلد من البلاد فما ذلك إلا للتعرف والتعارف « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم » .

ولما كانت أرض أفغانستان بهذا الموقع الذي تشغله في اواسط قارة آسيا ملتقى لعدد من الطرق البرية ، وفيها كثير من الفجاج التي تسلك ، وعدد من الممرات التي تطرق

والشعاب التي تتبع من المنطلقين نحو الجنوب الشرقي أو المتجهين نحو الغرب لذا فقد استقرت فيها مجموعات متعددة قدمت مع الفاتحين أو جاءت مع الغازين أو لجأت اليها تتخذ من مرتفعاتها ملجأ يقيها من أعدائها أو مانعاً يحول دون وصول خصومها اليها وأهم هذه المجموعات :

١ً – **البوشتن** Pushtuns : كما يطلق عليها أيضاً البوختن ويشكلون ٦٠ ٪ من مجموع السكان ، ويمثلون خليطاً من العناصر التركية والايرانية ، كما انهم يتجمعون في المناطق الواقعة جنوب جبال هندكوش ، كما يتواجدون في المناطق الواقعة في شمالها ، وهم يعملون في الزراعة كما يمتهنون الرعي ، ويمتازون بالقامة الطويلة ، ولون البشرة الأسمر ، والشعر الأسود المموّج ، وقد اعتادوا تحمل المشاق بسبب طبيعة بلادهم ووعورة جبالها . وتقيم بعض القبائل منهم في باكستان أو ان الحدود الاصطناعية قد فصلت مواطن هذه المجموعة بعضها عن بعض فجزأتها ويعرفون هناك باسم قبائل الباتان . ومن أشهر فروع البوشتن في أفغانستان « الغلزة » وهم من فرع الجنوب وبسبب ميل لون هؤلاء إلى البياض فقد ظن بعضهم أنهم مجموعة خاصة تختلف عن البوشتن .

٢ً – **الطاجيك** : وهم عناصر ايرانية ، يمتازون بالقامة المتوسطة ، ويسكنون الوديان العليا من إقليم « باداخشان »

وفي السهول العليا في وسط البلاد حتى الغرب حيث يعمرون السهول الغربية حول مدينة هراة ، ويشكلون ٣٠ ٪ من السكان ، ويعملون في الزراعة والصناعة والتجارة .

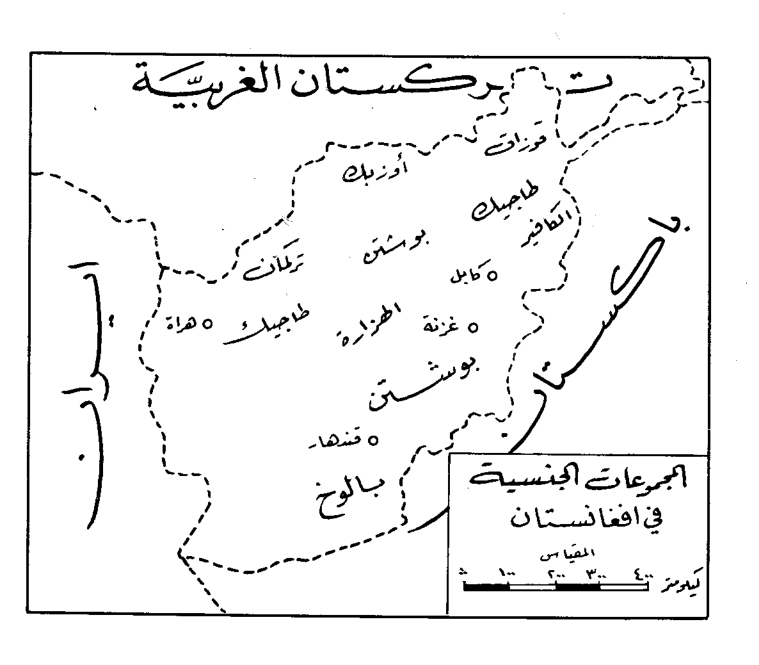
٣ً – **الأتراك** : وهم امتداد لسكان تركستان الغربية ، حيث نجد الأوزبك الذين يشكلون ٥ ٪ من مجموع سكان أفغانستان ، والتركمان وهم يقيمون على الضفة الجنوبية لنهر جيحون والقيرغيز الذين ينتقلون في هضبة بامير ويرعون الأغنام والماعز وحيوان الياك ، وبالقرب من هذه القبائل يقيم القوزاق أيضاً وهم من المجموعة نفسها .

٤ً – **الهزّارة** : وقد انحدروا من أصل مغولي ، وعددهم قليل يقرب من ٦٠٠٠٠ ساكن ، وموطنهم هو المرتفعات الوسطى ، وهم يتبعون المذهب الشيعي ، ويشتغلون في الرعي والزراعة .

٥ً – **البالوخ** – وهم في الجنوب ، ويعتقد انهم من أصل عربي ، والقليل من البالوخ يقيم في أفغانستان ، وأكثرهم يقيم في باكستان في اقليم بلوخستان المجاور لأفغانستان .

٦ً – **الكافير** : ويقيمون في الشمال الشرقي ، ويعرفون باسم النوريين بعد أن تحولوا إلى الاسلام في بداية هذا القرن وكانوا من قبل يتبعون البوذية .

وهناك مجموعات قليلة في البـــلاد من العرب والهنود والصينيين .


تركستان الغربية
قوزاق
أوزبك
طاجيك
الكافير
بوشتو
تركمان
كابل
الهزارة
غزنة
هراة
طاجيك
بوشتو
قندهار
بالوخ
ايران
باكستان
المجموعات الجنسية
في افغانستان
المقياس
٥٠٠ ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ ٠
كيلومتر

والملحوظ أن هذه الأصناف من القبائل على اختلافها يوحد بينها الاسلام ، فأفغانستان تدين كلها به .

اللغة : تعتبر (البشتو) لغــة قبائل البوشتن — وهم أكثرية سكان البلاد — هي اللغة الرسمية . وتليهـا اللغة الفارسية لغة قبائل الطاجيك الذين يحتلون المرتبة العددية الثانيـــة ، وإن كانت الفارسية هي المستعملة في الإدارة والتجارة والثقافة لما لها من ماضٍ حضاري . ولكن ٤٠ ٪ من كلمات اللغة المستخدمة هي من أصل عربي سواء أكانت لغة البشتو أم كانت اللغة الفارسية ، كما أن كلتا اللغتين تكتبان بأحرف عربية .

وتحتل اللغة العربية مركزاً مرموقاً في الدراسة ، لأنها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه وهي إضافة إلى أنها تشكل مادة أساسية لمعرفة أصول اللغـة الأفغانية فهي تدرس في جميع المدارس على انها جزء متمم لتدريس التفسير والحديث والفقه .

وتقوم بعض المدارس على تدريس مادة اللغة العربيـة فقط مثل دار العلوم في كابل ، وفخر المدارس في هراة ، ونجم المدارس في جـــلال أباد ، ومدرسة لختارستان في فيض أباد . كما أن الحكومة الأفغانية قد أسست مدرسة العلوم الشرعية في مدينة نعمان على مقربـة من كابل التي تعدّ مصيفاً لها ، وتعتمد هذه المدرسة تدريس العربية فقط.

وتسود اللغة التركية خراسان والقبائل التي تنتمي إلى أصل تركي .

وهناك لغات محلية مثل لغة الهزارة والبالوخ .

الدين : كانت البوذية هي الديانة السائدة في أفغانستان قبل انتشار الاسلام . أما اليوم فان أكثر من ٩٩٪ من السكان يدينون بالاسلام ، ومعظمهم من أهل السنة والجماعة وعلى مذهب الإمام أبي حنيفة حتى أن الطاجيك الذين هم من أهل السنة – وإن تشيع إيران ليس عريقاً تماماً ، فقد كان المذهب السني التي يسود بلاد الفرس كما نعلم – مع العلم أن الطاجيك الذين يعيشون في الأراضي التي تحتلها روسيا والذين يجاورونهم هم على المذهب الشيعي . ولكن الهزارة في أفغانستان وعددهم قليل كما ذكرنا ينتسبون للمذهب الشيعي[1] .

ويوجد عدد قليل جداً من الهندوس والسيخ .

وينص الدستور الأفغاني – قبل الانقلاب الأخير – على أن الدين الاسلامي فقط هو مصدر التشريع الوحيد لسن القوانين وانه متى وجد نص في أي قانون يتمارض مع

---

(١) يعدّ محمد خدابنده (اولجاتيو) من الاسرة الايلخانية أول من نشر المذهب الشيعي في ايران سنة ١٣٠٤ م ، واولجاتيو هو ابن ارغون بن اباقا بن الطاغية هولاكو . ثم ضعف أمر الشيعة حتى أعاده الصفويون مذهبا رسميا للدولة . وقد حاول نادر شاه – كما مر معنا – اعادة مذهب أهل السنة الا أنه فشل .

أصول الدين الاسلامي فان هـذا النص يعدّ ملغى ولا يجوز العمل به .

المسكن : بما أن الأمطار قليلة وفصل الجاف طويل في أفغانستان فإن المدن والقرى فيها تقام على طول الأودية ومجاري المياه الفصلية وذلك من أجل الحصول على المياه للشرب وسقياً للحيوانات حيث تتجمع الميـــاه في المناطق المنخفضة أو تخرج بعض الينابيـع الكافيـة من أطراف الوادي وعلى السفوح المشرفة عليه ، ثم من أجل إمكانية الزراعة حيث تكون التربة مشبعة بالمياه أو يستفاد من مياه العيون القليلة والآبار التي تحفر حيث تكون الميـــاه الجوفية على بعد يسير من سطح الأرض . وليس هناك من فرق كبير بين القرية والمدينة ، فليست هناك مدن بلغت شأواً واسعاً في المدنية أو وصلت إلى منزلة عالية في مجال التقدم كما أنه لا توجد قرى متخلفة جداً تعيش كأنها في عهود بائدة . فقد دخلت المدنية المنطقة وأخذت البلاد بأسبابها على مستوى واحد تقريباً إلا أن عدد السكان له أثره في اقامة مؤسسات تعليمية أو اجتماعية يملؤها سكان ذلك التجمع البشري .

وإذا كنا نعرف أن القرى الجبلية تبنى عادة بالحجارة لتوفرها فان أكثر القرى الأفغانية تبني بيوتها من الطين أو الآجر لكونها في الأودية حيث يتوفر الطين وتتحلل

الرواسب والجروفات . أما السقوف فتكون من أشجار الأرز وتصنع من أخشابه أيضاً الأبواب والنوافذ ، وصعوبة المواصلات لا تزال تقف عائقـــاً في امكانيـة النقل وحمل المواد من مكان لآخر وهذا هو السبب في الاكتفاء بمواد البيئة المحلية .

وتكون البيوتات متسعة سواء في المدينة أم الريف ، وبهوها الواسع مسقوف بسبب البرد الشديد لكون المنقطة مرتفعة ، ويوصل من البهو إلى الغرف المتعددة التي تبنى على جوانبه ، وفي وسطه يقام التنور على مرتفع ، ويتكون من طابقين توضع في الأسفل منهما أعـواد الحطب وقطع الخشب وقوداً ، وله باب يوصد باحكام ، ويتصل بهذا الطابق فتحتان إحداهما يخرج منها الدخان خارج البيت وتكون أكثر علواً من الثانية التي يدخل الهواء منها لاستمرار عملية الاحتراق .

أما الطابق الأعلى فمهيأ لنضج الخبز الذي يتم يوميـــاً تقريباً ولنضج قدور الأطعمة المختلفة واللحوم ولما كان التنور وسط البهو المسقوف فإنه يكسبه دفئاً ، وتستدفىء بالتالي الغرف المحيطة به ، وكثيراً ما يستعمل هذا البهو للنوم بسبب الدفء ، هذا في الشتاء أما في الصيف فالنوم غالباً على أسطحة المنازل .

وتفرش الغرف بالحصر والسجاد الذي تشتهر بـــه

أفغانستان وذلك حسب إمكانات صاحب الدار ومركزه الاجتماعي . وتكثر في البيوت الألبسة الصوفية والأغطية السميكة التي تستعمل في فصل البرد .

ويجانب الدار حظيرة الماشية التي قلما يخلو منها بيت والتي قلما لا تتملكها أسرة أفغانية وهي عدد من رؤوس الأغنام أو الماعز وبقرة أو اثنتان وعدد من الدواجن .

أما البدو فمساكنهم الخيام التي تنسج من الصوف أو الوبر أو الشعر ، وتفرش في داخلها كما تفرش البيوت تماماً ، ومدافئها شتاءً هي الأواني الفخارية التي توضع وسط الخيمة والتي تضرم فيها النيران وفي وسط الخيمة في الأعلى كوة يخرج منها الدخان .

أما المدن فقد شملها الفن المعماري الحديث فقامت الأبنية الفخمة وفتحت الشوارع الواسعة ذات الحدائق الجميلة هذا بجانب البيوت القديمة والأزقة الضيقة والأسواق المسقوفة التي تماثل كافة المدن القديمة الشرقية .

اللباس : ويرتدي أهل الريف والقبائل السروال الفضفاض الذي ينسج من القطن الأبيض وقميصاً طويلاً سابغاً من النسيج نفسه ، كما يلبس فوق القميص في الشتاء صدرية من الصوف أو الجلد تزركش أحياناً وتحلّى أحياناً أخرى . وعلى الرأس توضع العمامة التي تتدلى أطرافها أحياناً على جانب رأس صاحبها . ويعمد الأفغاني في الشتاء

إلى ارتداء الألبسة الصوفيـة الثقيلة والعباءات والمعاطف وتكون من الصوف أو الفراء أو الجلد . والفراء المفضل عندهم هو الذي يؤخذ من الغنم المسمى « كراكول » . وأما في المدن فقد ابتدأت الألبسة الافرنجية تعم ، ويوضع على الرأس قلنسوة من فرو الكراكول .

العادات : إن الحياة القبلية كالحياة في الريف تستدعيان الكرم كما تتطلب أولاهما النجدة وحمايـة من يلوذ بالفرد أو بالقبيلة . فما دام الانسان ينتقل ويرتحل فانه معرّض أن يبيت خارج منزله أو في مكان بعيد عن منطقته حيث لا يوجد إلا بيوت الآخرين مأوى له فلا مطاعم ولا أماكن للمبيت ، وبمقدار مـا يكرم المرء الآخرين عندما يحلون عنده يجد الترحيب والاكرام عندمـا ينزل بلدة أو يحل في كنف قبيلة لذا يحرص كل فرد أن يكون كريماً ليحفظ لنفسه يوماً يلجأ فيه إلى غيره ، بينما تفقد هذه الأمور قيمتها في المدينة حيث يجد الانسان المكان الذي يأوي اليه والمطعم الذي يتناول فيه ما يشتهي .

ولما كانت أكثر الحيـاة في أفغانستان ريفية أو قبلية فاننا نلمح هذا الكرم ظاهراً في كل مكان ونرى نجدة من يطلب الحماية عند كل قبيلة ، بل ان القصص المتوارثة عندهم مدعاة للفخر والتقليد في إغاثة الملتجىء واكرام الضيف، والقصة الشائعة عندهم تمثل هذا الخلق ، وذلك أن السلطان محمود

الغزنوي[1] قد خرج ذات يوم للصيد والقنص ، وبينا كان يجدّ في السير ، وقد امتطى صهوة جهواده الأشهب الأصيل ، أبصر غزالاً من نوع جيد نادر ، فأخذ يطارده من مكان لآخر ، واستطاع بعد لأيٍ أن يسدد اليه سهما أصابه اصابة بالغة . بيد أن الغزال واصل العدو لينجو بحياته واستمر السلطان يطلب صيده . وما لبث الغزال ان خارت قواه لكثرة ما نزل منه من دم ، فلجأ إلى إحدى الخيام التي صادفها أمامه وقد هدّه الإعياء والنصب . أما السلطان فقد سُرّ لذلك وظن أنه قد أدرك مبتغاه ، وأقبل مسرعاً على الخباء ، وفي عزمه الامساك بالغزال الجريح . ولشد ما دهش السلطان حين رأى صاحب الخيمة – ولم يكن سوى راعٍ بسيط – يقف بالباب ، ويمنع الداخل اليها . واشتد غضب السلطان من هذه الجرأة والقحة ، وخاطب الراعي متسائلاً في عنفٍ وخشونة : « من تكون أيها الرجل ؟ وماذا تعني بهذا العمل الطائش ؟ أغرب عن وجهي وإلا قضيت على حياتك في التو والساعة » بيد أن الراعي أجاب في هدوء وتؤدة « إنني لن اسمح لك يا سيدي

---

(١) محمود الغزنوي : محمود بن سبكتكين الغزنوي ، السلطان يمين الدولة أبو القاسم ابن الامير ناصر الدولة أبي منصور : فاتح الهند ، وأحد كبار القادة ، كانت عاصمته غزنة ، وفيها ولد ، وفيها مات ، مات أبوه عام ٣٨٧ هـ وخلف ثلاثة اولاد ، هم : اسماعيل ومحمود ونصر . وجرت بينهم حروب ، ظفر بها محمود ، واستولى على الامارة ٣٨٩ هـ وتوفي عام ٤٢١ هـ .

بدخول خيمتي . لقد احتمى الغزال ببيتي . انه الآن يقيم في كنفي ، وقد وجب عليّ حمايته جرياً على تقاليدنا ، مهما كلفني الأمر من تضحية وفداء » . فقال السلطان في حنقٍ شديد : « ألا تعلم أيها الرجل أنني السلطان ، وعليك إطاعة أوامري من غير مجادلة أو تسويف » ... فقال الراعي في اتزان : « مهما يكن من شأنك أيها السيد المظيم فإن التقاليد الوطنية يجب أن تبقى دائماً موضع الاحترام والتقدير ، وتستطيع أن تختار ما شئت من غنمي ، ولكن لن أسمح بالحاق الأذى بضيفي الغزال ما دام في خيمتي . وإن كنت سلطان البلاد حقاً ، وجب أن تكون أحرص الناس على احترام عاداتنا » فلما سمع السلطان رد الراعي تركه وشأنه ، وعاد يفتش عن صيد آخر .

هذه الحماية واجبة حتى لو كان الملتجىء أحد المجرمين أو قطاع الطرق ، فيروون وبكل اعتزاز أن جماعة من قطاع الطرق أغاروا على أحد الأرياف فهب السكان يدافعون عن أنفسهم وممتلكاتهم ، وتخلف عن النجدة امرأة عجوز وقفت على باب دارها تنتظر عودة أهل البلدة ومعهم ابنان لها هبا للدفاع عن القرية . وجرت معركة بين الطرفين ، فرّ إثرها اللصوص بعد أن فتكوا بعدد من السكان ، ولكن أحيط باثنين منهم لم يجدا طريقاً للخلاص فاضطرا للالتجاء إلى بيت تلك العجوز طالبين الحماية

والأمان ، فما كان من العجوز إلا أن أوصدت عليهما الباب حماية لهما ، ومنعت الوصول اليهما ، فخاطبها الناس الهائجين ألم تعلمي أنهما قتلا ولديك ، فأجابت : « قد يكون هذا صدقاً وحقاً ولكنهما الآن في حمايتي وداخل بيتي فلن أسمح أن يصيبهما أذى ولا أن يمسهما أحد سوء » .

والرجل الأفغاني لبق في معاملته مع الآخرين متأدب مع الناس جميعاً ، قليل الضحك ، لا يرتفع صوته اثناءه ، متمسك بدينه ، متسامح مع من يخالفه ، صبور يتحمل المشاق ، ويصبر على النوائب ، ويصبر أمام الفقر والمرض. فانك لا ترى هناك سائلاً مهما كان محتاجاً ، وإن حدث فإنما يقف أمامك لتعطيه أو تدعوه . كما انه مستعد لتجشم المخاطر وإظهار أكثر أنواع الشجاعة والبطولة . والمرأة مصونة محجبة عدا قلة ظهرت في البلاد حديثاً .

ويحب الأفغاني صيد الطير وقنص الحيوان ، ويستعمل في ذلك البزاة والكلاب ، كما تنتشر عندهم المراهنة على مصارعة الكباش لكنها تحصل سراً لأن المراهنة لا يبيحها القانون ، وإن ركوب الخيل من العادات المفضلة ولطالما جرت بين الفرسان مصارعة من أجل الحصول على ذبيحة من الغنم بين الطرفين توضع في حفرة والفارس المجلّى هو الذي يستطيع اختطافها والنجاة بها من بين صفوف الخصم ثم يجول فيها دورة ويعيدها إلى مكانها الأول في الحفرة .

التعليم : كانت المعاهد الدينية في السابق هي التي تتولى شؤون التعليم ففي كل مسجد مدرسة تعليم القرآن والحساب ومبادىء القراءة وكذا في كل حي . ثم أنشئت دائرة المعارف عام ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٦ م ثم قامت وزارة التعليم عام ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣٠ م ، وعدّت كل مدارس المساجد والأحياء تابعة لها فكانت نواة لبداية العمل ، وانتظم التعليم بعد ذلك ولا تزال نسبة المتعلمين قليلة إذ لا تزيد على ٢٠ ٪ بالنسبة إلى الذكور ذلك بالنسبة للاناث . وقد أسست كلية للبنات في كابل عام ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م .

والتعليم الابتدائي اليوم إلزامي ومجاني ، أما الثانوي فهو مجاني أيضاً . وتفتتح الدولة مدرسة لكل بلدة فيها ثمانون طالباً يمكنهم الانتظام في المدرسة والمداومة على تلقي العلم . ولا يزال عدد المدرسين قليلاً لا يسد حاجة المدارس وكذا المدرسات .

وتقوم الجمعيات بدورها في التعليم ، إذ توجد مؤسسة خيرية نسائية في مدينة كابل لمكافحة الأمية ، وافتتحت عدة صفوف إلى تعليم أمور الخياطة والحياكة والأشغال اليدوية والطهو وتدبير المنزل .

والذي يخشاه العقلاء أن يكون التعليم الجديد — على ما فيه من جوانب خير — قاصراً عن الوفاء بحاجة شعب مسلم يريد الحياة القوية العزيزة التي تبنى على الإيمان وتسير ع

الاستقامة وتتطلع إلى الجهاد والتضحية ولا ترضى بما هو دون الجنة . وقد أثر في هذا عن جمال الدين الأفغاني أنه قال : لو أن التعليم الحديث كان قائماً في الأفغان عندما حصلت الحرب بين انكلترا والأفغان التي خرجت ظافرة لو كان ذلك التعليم قائماً لما تحققت هزيمة الاعداء . وهذا أمر يدعو كل مسلم إلى أن ينظر في التعليم الشائع نظرة فحص واختبار .

الصحة : إن الأحوال الصحية متأخرة ، وقد أنشئت مدرسة للتمريض عام ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦ م ، كما أسست مدرسة طبية في كابل تخرج سنوياً ما يقرب من ٣٠ طبيباً ومدة الدراسة فيها خمس سنوات ، ولكن لا يكفي الحاجة المتزايدة إلى الطب .

ويوجد في البلاد ما يقرب من ٦٠ مشفى يعمل فيها ٣٠٠ طبيب . أما الصيدليات فتوجد في المدن ومراكز المقاطعات كافة . ولكن الأرياف تكاد تخلو من الوسائل الصحية ، وإن صعوبة المواصلات تشكل عقبة كأداء في وجه الانتقال للحصول على العلاج اللازم .

الزواج : لا تزال المرأة الأفغانية محافظة على سلوكها وسيرتها في الحشمة والآداب ولباسها والحجاب ، متدينة تحافظ على شعائرها وعباداتها ، غير مبتذلة ، تسهر على تربية أولادها تربية صحيحة . ويفضل الافغانيون الزواج

المكلا ، وقد حددت المهور خلافاً للقاعدة العامة ، وأصبحت رمزية لا تزيد على ما يعادل أربع ليرات لبنانية على أن يتولى الرجل تأثيث البيت كل حسب طاقته . وقد كان المهر مبالغاً فيه مما أدى إلى حدوث أزمة في الزواج.

وقد جرت عادة الناس هناك أن تقام حفلة واحدة لعقد القران والزفاف بعيدة عن مظاهر البذخ والإسراف ، كما أنها بعيدة عن الاختلاط . ومن التقاليد المتبعة في المدن أن يجتمع العروسان لأول مرة ليلة الزفاف أمام مرآة حتى لا يقع نظر أحدهما على الآخر مباشرة ، ومعهما نسخة من القرآن الكريم لذلك يدعى هذا اليوم آية المصحف . ولا يمكن أن يوجد أي رجل في هذا الحقل ، وإنما يصطف أطفال الأسرتين على شكل دائرة يحملون بأيديهم الشموع الملونة والورود .

ويتم الزواج بين أفراد القبيلة الواحدة أو العشيرة ما أمكن ذلك . وإذا ما طلب أحد فتاة من غير قبيلته ؛ ورفض والد الفتاة المصاهرة بعد توسط شيوخ القبيلة فإن ذلك يعدّ إهانة صارخة ، وقد يحدث قتال مرير بين القبيلتين نتيجة ذلك الرفض .

وعندما ترزق الأسرة مولوداً تعم البهجة ويسود السرور ويسرع رجال العشيرة إلى بيت أسرة الوليد ببنادقهم يطلقون الرصاص في الهواء احتفاء بالمولود الجديد . كما أن

أحد الشيوخ الذين عرفوا بالتقوى يؤذن في اذن المولود اليمنى اتباعاً للسنة . ويكون الختان مبكراً وله وليمة خاصة ، فاذا بلغ الوليد عامه الأول حلق شعره[1] ، كما أن هناك حفلة ثانية عند ختم القرآن الكريم وهي ذات أهمية خاصة .

ولما كانت حياة الرعي والزراعة هي الغالبة في أفغانستان لذا كان تفضيل الذكور على الاناث واضحاً ، فالرجل هو المستقبل في الانتاج سواء في العمل الزراعي أم في الانتقال وراء الحيوانات ، وهو رجل الأسرة وحامي ذمارها ، مع أن التفضيل بعيد عن روح الدين الإسلامي ومخالف لنظرته في الحياة .

الأعياد : يحتفل الأفغانيون بعيد الأضحى وعيد الفطر ، وتؤدى صلاتها في المصلى اتباعاً للسنة ويكون خارج حدود البناء ، وفي كل مدينة وقرية كبيرة تقريباً مصلى . ويكبر الناس أثناء ذهابهم إلى المصلى وإيابهم منه بصوت مرتفع . وليس من عيد سوى هذين العيدين في الإسلام . ولكن جرت العادة بالاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف في المساجد ، ويحضر هـذا الاحتفال رجال الدولة وكبار المسؤولين في المسجد الكبير في العاصمة كابل ، ويبدو أن

---

(١) السنة أن يختن المولود ، ويسمّى ، ويحلق شعره ... وذلك في اليوم السابع من ولادته .

الاحتفال بهذا اليوم قد جاء مضاهاة للنصارى الذين يبالغون بالاحتفال بعيد ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام .

والعيد الوطني أيضاً هو يوم ٢٧ أيار من كل عام وهو ذكرى الاستقلال والانتصار على الجيوش البريطانية ، وليس لهذا اليوم وأمثاله أيضاً أية ميزة عن غيره من بقية أيام السنة في نظر الاسلام . كما يبتهج الناس بقدوم شهر رمضان المبارك وتقام الزينات في المساجد ، ولا يجرؤ أحد على أن يفطر في هذا الشهر أو يتهاون في أداء هذه الفريضة .

نظام الحكم : قبل الانقلاب الأخير الذي جعل البلاد جمهورية في ١٧ جمادى الثانية ١٣٩٣ هـ — ١٧ تموز ١٩٧٣ م كانت افغانستان دولة ملكية ديمقراطية يحكمها ملك بدستور وافق عليه الشعب بعد تعديله عام ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م .

والسلطة التشريعية بيد مجلسين :

١ — مجلس شيوخ يعين ثلثه والباقي ينتخبه الشعب .

٢ — مجلس نواب منتخب من قبل الشعب .

والسلطة القضائية مستقلة .

أما السلطة التنفيذية فيرأسها رئيس مجلس الوزراء الذي يختاره الملك .

المُـــدُن

لا يوجد في أفغانستان مدن كبيرة تتجمع فيها أعداد ضخمة تصل إلى عدة ملايين وتستقطب أكثرية السكان لمركزها الصناعي أو لأهميتها التجارية بل انها لا تزال في أول عهدها ونموها وأشهرها :

كابُل : بضم الباء ، وهي عاصمة البلاد ، ويزيـد عدد سكانها اليوم على ٣٥٠ ألف نسمة ، ويجري فيها النهر الذي ينسب اليهـا (نهر كابل) فيزيدها جمالاً ، وهي قسمان : القسم الشرقي وهو المدينـة القديمة حيث الطرقات الضيقة والأزقة المنعرجة والأسواق المسقوفة والحوانيت المتلاصقة . والقسم الغربي وهو المدينة الحديثـة ، وفي وسطها العمود التذكاري المقـام للتذكير بيوم الاستقلال والانتصار على الجيوش الانكليزية يوم ٢٨ أيار ١٩١٩ م / ١٣٣٨ هـ . وبالقرب منه شيد ضريح محمد نادر خان الذي اغتيل ١٣٥٢هـ . وفي المدينة متحف كبير .

هَراة : بفتح الهاء والنسبة لها هروي ، كحماة ، وتقع على مجرى نهر هاري ، ويقال له : هاري رد ، ولعل اسمها مشتق منه ، وهي في المنطقة الغربية حيث تنتشر السهول ، وتؤول اليها ميـــاه السفوح الغربية ومنحدرات جبـال

هندكوش ، ويزيد عدد سكانها اليوم على ٢٠٠ ألف نسمة ، وفيها عدد من المساجد ، منها المسجد الجامع الأثري الذي يعود بناؤه إلى القرن التاسع الهجري ، وكان يعد آنذاك أهم جامع في آسيا الوسطى كلها . وكان التتار قد خربوا هذه المدينة عام ٦١٨ هـ اثناء اجتياحهم للمنطقة وانتقالهم نحو الغرب .

قُنْدُهار : بضم القاف وسكون النون وضم الدال . وتقع على مجرى أحد فروع نهر هلمند ، في الجنوب قريبة من الحدود الباكستانية ، ويزيد عدد سكانها على ١٤٠ ألف نسمة ، وفي المدينة جالية من الهنود يمسكون بأيديهم زمام التجارة ، وفيها ضريح الشاه أحمد خان الذي أسس الأسرة الدورانية التي حكمت البلاد من ١١٦٠ — ١٢٥٠ هـ / ١٧٤٧ — ١٨٣٥ م ، وعلى الضريح قبة مغطاة بصفائح الذهب ، وتحيط بها المآذن المحلاة بالقيشاني .

مزار شريف : مدينة قديمة في الشمال ، مركز مقاطعة بلخ ، وتشتهر بتجارة فراء الكراكول .

بلخ : مدينة تاريخية قديمة ، كانت عاصمة مملكة ايريانا القديمة ، وكانت تحمل اسم باكتريا ، وتقع إلى الغرب من مزار شريف ، وعلى مسافة ١٠٠ كيلومتر منها تقريباً ، وتعرف المقاطعة باسمها رغم أن حاضرتها هي مدينة مزار شريف . وقد هدمها جنكيزخان ، وخرّب من

مسجدها نحو الثلث بسبب كنز ذكر له أنــه تحت سارية من سواريه . وتعرف بلخ اليوم باسم وزير أباد .

غزنة : مدينة تاريخية قديمة ، تقع جنوب غربي مدينة كابل على بُعد ١٥٠ كيلومتر منهــا ، وهي على طريق المواصلات بين كابل وقندهار ، وكانت مركز الدولة الغزنوية التي تأسست ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م واستمرت حتى ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥م والتي من أشهر ملوكها محمود بن سُبُكتكين الغزنوي ، وفيها قبره.

ومن المدن التاريخية التي لم يبق لها ذكر :

طالقان : بلدتان إحداهما بخراسان بين مروالروذ وبلخ ، بينها وبين مروالروذ ثلاث مراحل ، وقال الاصطخري : أكبر مدينة بطخارستان طالقان ، وهي مدينة في مستوى من الأرض بينها وبين الجبل غلوة سهم ، ولها نهر كبير[1] وبساتين . ومقدار طالقان نحو ثلث بلخ ، ويقال لها طالقان مروالروذ . والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأنهر وبهــا عدة قرى يقع عليها هذا الاسم ، واليها ينسب الصاحب بن عباد ، ويقال لها طالقان قزوين .

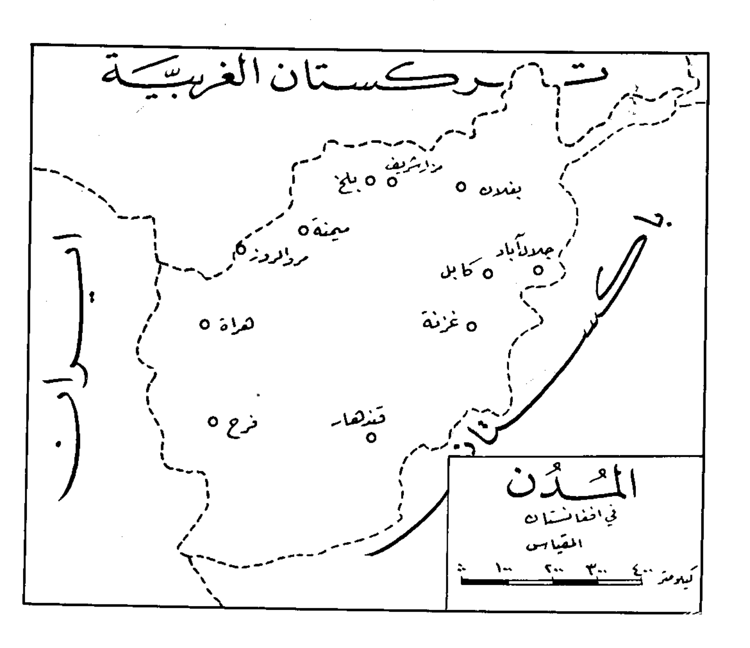
فارياب : بكسر الراء . مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ غرب جيحون وتعرف اليوم

---

(١) يبدو أن هذا النهر احد روافد نهر مورغاب الذي يمر بمدينة مرو الروذ ، ويأتيه من يمينه،وبهذا يكون موقعها شرق مرو الروذ على الطريق الواصل الى بلخ .

مقاطعة بهذا الاسم ومركزها مدينة ميمنة وهي ميمنة جوزجان .

جوزجان : اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان بين مروالروذ وبلخ ، ومن مدنها فارياب ، وبها قتل يحيى ابن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عام ١٢٥ هـ ، وقد تم فتح جوزجان عام ٣٣ هـ . وتوجد اليوم مقاطعة تحمل هذا الاسم إلى الشرق من مقاطعة فارياب .



الحياة السياسية

كان نفوذ انكلترا أكبر نفوذ أجنبي في أفغانستان منذ أن ضعفت الحكومات الإسلامية حتى نالت البلاد استقلالها عام ١٣٤٠ هـ / ١٩٢١ م فانكلترا كانت على مقربة منها تسيطر على شبه القارة الهندية ، وأطماعها لا تحد ، وتأمل في مد نفوذها إلى أفغانستان وجعلها ضمن مناطق سيطرتها وكان الضعفاء من الحكام يأخذون رأي حكومة الهند الانكليزية في أمورهم الخارجية كلها وشؤونهم الاقتصادية جميعها ، وقد يطلبون منها الدعم والعون ضد كل منافس يتوثب للحكم أو طامح يرغب في السيطرة ، أو قد تكون تلك المساعدة لذلك الزعيم المتحفز ليكون أطوع لها في مد نفوذها وتحقيق أطماعها ، وفي كلا الحالتين لا تتردد في إرسال التأييد المطلوب ، وإذا لم يوجد هذا أو ذاك واضطرتها مصالحها إلى التدخل فلا مانع عندها من إرسال الجيوش واحتلال بعض الأجزاء لتحقيق ما تريد تحقيقه ، أو لتقف في وجه الروس الذين يريدون أيضاً توسعة نفوذهم بعد أن شمل تركستان الغربية كافة وسيبيرية كلها ،

---

(١) أنظر كتاب (تركستان) من نفس السلسلة ص ٥٠ ـ ٥٢ .

أو يرغبون في ابتلاع ما أمكنهم بعـــد أن ضموا اليهم مناطق واسعة عـلى حدود أفغانستان ، وكان نفوذهم في أفغانستان يأتي في المرتبة الثانية بعد النفوذ الانكليزي .

وعندمـــا اعترفت انكلترا باستقلال أفغانستان بقي نفوذها أوسع من نفوذ غيرها لما لهـا من أنصار سابقين ولأن جلاء الجيوش ليس معناه زوال الاستعمار فان زوال التحكم العسكري مع بقاء الفكر الاستعماري لا يغير شيئاً في الأوضاع بل ربما كانت هي الحالة التي يريدها المستعمرون إذ لا تكلفهم جنداً ولا تحملهم عبئاً مع بقاء ما يريدون واستمرار كل ما يطمعون فيه وتنفيذ كل ما يتطلعون اليه ويأملونـه ، ولأن روسيا التي كانت مؤهلة لمنافسة النفوذ الانكليزي كانت في شغل شاغل عن ذلك بمـا تعانيه من آثار الثورة الشيوعية التي قامت فيها ، والتي تسلمت مقاليد الأمور ، والتي أدى قيامهـــا إلى انفصال عدد كبير من المناطق أو المقاطعات التي كانت قـد أخضعتها القيصرية لسيطرتها ، وكانت تنتظر فرصة الخلاص أو تأمل بالانفصال والاستقلال حينما تجـد ضعفاً في الحكم أو تلمس تهاوناً في القبضة الحديدية التي طوّقت بها ردحاً من الزمن ، وقد منّى الشيوعيون أهل هذه المناطق ثم نقضوا العهد رغبة في بقـاء استعمارهم واتساع دولتهم الجديدة ومد نفوذهم والحصول على خيرات هذه المناطق . فقاموا يحاربون أهل

هذه البقاع ويلزمونهم بالعودة إلى الخنوع وتقديم الطاعة والخضوع . هذا إضافة إلى ما نتج عن الثورة من تأخر اقتصادي ومشكلات اجتماعية وخلافات فكرية . وكانت أكثر هذه المناطق الثائرة اسلامية ، وأكبر ما حدث من انتفاضات كان على حدود أفغانستان بسبب مجيء أنور باشا إلى المنطقة وقيادته الثورة ضد الاستعمار الروسي حتى استشهد عام ١٣٤١ هـ / ١٩٢٢ م .

لقد استقر الوضع في روسية للشيوعيين وكذا في المناطق التي تبسط نفوذها عليها ، وبدأت المحاولات لتوسعة النطاق الشيوعي خدمة لمصالح الروس أولاً ومنافسة لأعداء الشيوعية السياسيين ثانياً ، فأسس الحزب الديموقراطي في أفغانستان عام ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م إلا أن نفوذه بقي محصوراً في الجماعة المستفيدة منه مباشرة بما تقدمه الشيوعية لها ، ولأن الأفغانيين كانوا على علمٍ بما يلاقي المسلمون وراء حدود الأفغان من عذاب واضطهاد وذلّ وتشريد وانتهاك لحرماتهم وأعراضهم وتدمير لمقدساتهم هذا إضافة إلى أن قسماً منهم ينتمي إلى تلك القبائل نفسها التي تتعرض لتلك المصائب، وإذا كنا لا ننكر دعاية خصوم الشيوعية وإهمية إعلام أعدائها إلا اننا نقول إنهم كانوا يستفيدون من الوقائع التي تحدث فعلاً لتأمين أغراضهم السياسية وتحقيق أطماعهم التوسعية ، ولكنها تبقى حقيقة واقعة وإن استفاد منها

الخصم وروّجها العدو ، ونحن لا نتكلم عنها على أنها من دعايات المستعمر كما يشيع ذلك أنصار الدخيل الآخر وإنما لأنها حقيقة واقعة وهي تمسنا في الصميم .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية ١٣٥٩ هـ / ١٩٣٩ م كان الروس والانكليز على وفاق لم تحدث منافسة بين الاستعماريين على أرض أفغانستان إضافة إلى ظروف الحرب الخاصة التي توجه الأنظار إلى ساحات القتال وتلقي بالفكر إلى حل المشكلات القائمة ، وانتهت الحرب ، وكانت المنافسة بين المعسكرين على أشدها ، ولكن الدعاية الروسية كانت ضعيفة جداً آنذاك في أفغانستان بسبب ما فعله الروس في سكان القرم المسلمين وبلاد قفقاسيا المسلمة ، وما لقيه المسلمون على أيدي العصابات الشيوعية في كل مكان مع ملاحظة اتفاق الشيوعيين مع الرأسماليين وتفضيل المصلحة على المبدأ والفكر ، وإذا كانت أجهزة الأعلام ضعيفة وقتذاك إلا أن الحدود كانت قريبة وأن الانكليز كانوا على مقدرة في ترويج الاشاعات ضد الروس لمصلحة الانكليز وإن كانت حقاً يراد باشاعته باطل . وخرج المسلمون بفائدة كبيرة من الحرب وهي أن الخلاف بين الشيوعية والرأسمالية إنما هو خلاف سياسي وظاهري ، ويمكن أن يحدث اتفاق في كل وقت بين الطرفين ، وإن المصلحة هي التي تحدد هذا الاتفاق ، وأن هناك مصالح مشتركة بين الفريقين .

ومنـذ أن آل الوضع في روسيا إلى خروتشوف بدأ نوع من التعاون الودي بـين الدولتين روسيا وأفغانستان كانطلاقة لمد النفوذ الشيوعي أو خطوة أولى لإزالة ما لحق بالدعاية الروسية هناك ، فقد لاحظ خروتشوف أهميـة موقع أفغانستان وغناها بالثروات المعدنية إضافة إلى غناها بالفواكه التي لا تنتجها روسيا والمناطق الخاضعة لها. وهي أقرب إلى الجنوب حيث تريد روسيا أن تمد نفوذها لتحصل على منتجات البلاد الحارة التي لا توجد فيهـا والتي هي بحاجة ماسة اليها . وهي على حدود شبه القارة الهنديـة منطقة النزاع والخلاف بين هند وباكستان وروسيا تريدأن تحشر نفسها وتتدخل في الخلافات التي هي البيئة الطبيعية لنمو الشيوعية والمكان الخصب بالنسبة لهـا حيث تقوّي جانباً على آخر وتمده ، وتؤيـد فريقاً وتساعده لتكسب أنصاراً وبالتالي تحقق نفوذاً ثم تجر المنطقة لفكرتها ليسهل ابتلاعها أو على الأقل لتسير في فلكها .

ثم كان التعاون بين الدولتين الشيوعيتين الكبيرتين روسيا والصين لمد النفوذ الشيوعي إلى أفغانستان يوم كان التفاهم بينهما قائماً ، ويوم كانت الفكرة الشيوعية لا تزال واحدة ، فقدمت المساعدات من كلا الطرفين لأفغانستان حيث مهدت الطرق وسويت الدروب ومدت المواصلات من هذه المعونات وذلك لمصالح عسكريـة للشيوعين . كما أن رئيس وزراء الأفغان آنذاك محمد داود كان يظهر تعاطفاً مع الروس .

وإذا كانت الدولة الأفغانية قد حرصت حرصاً أكيداً على اتخاذ موقف الحياد حيث تتلقى المساعدات من الأطراف كلها إلا أن المساعدات الروسية كانت أكبر ونفوذ الشيوعية كان أوسع ، ففي الخطة الخمسية ١٩٦٢ – ١٩٦٧ م . تلقت أفغانستان من روسيا ٦٣٢ مليون دولاراً وهو يشكل ٦٥٪ من مجموع المساعدات التي تدفقت على البلاد ، بينما شكلت المعونة الأميركية ٢٣٪ فقط من تلك المساعدات . وفي الوقت نفسه فقد وقعت مع الصين عام ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م اتفاقية مدتها ١٠ أعوام نالت بموجبها ٢٨٠ مليون دولاراً ، وترتبط مع الهند بمعاهدة صداقة وكذلك مع بريطانيا وغيرها من الدول .

واستمرت المساعدات الروسية تتدفق على أفغانستان ، فأنشأ الروس مطار كابل ، وسلحوا القوات الأفغانية وخاصة القوات الجوية ، وقدموا المساعدات الفنية والمادية لمشروعات الريّ وكان مجموع ما قدمه الروس في الآونة الأخير ٧٥٠ مليوناً من الدولارات لتحسين طرق المواصلات لتستفيد منها وقت الضرورة وأثناء التحركات العسكرية . وقد بدأت أهمية بلاد الأفغان تتألق في نظر الروس بعد أحداث باكستان الأخيرة وبعد الخلاف الشيوعى بين الصينيين والروس . وكان النفوذ الروسي يتوسع فعلاً في أفغانستان نتيجة تلك المساعدات السخية .

إن النفوذ الشيوعي لم يكن ليمر دون أن تبالي بـه

الولايات المتحدة منافسة روسيا الأولى فمدت أصابعها في هذه المنطقة ، وأرادت أن تنشب مخالبها من خلف المؤسسات التبشيرية ليكون لنفوذها أهمية كبيرة ، إلا أن أفغانستان لم تكن لتسمح بدخول الأرساليات التبشرية ليكون لنفوذها أهمية كبيرة في بلادها حيث يشكل المسلمون أكثر من ٩٩٪ من مجموع السكان ، لذا لجأت الولايات المتحدة إلى طريقة أخرى . فدخلت البلاد مؤسسة أميركية باسم « الانسانية » لرعاية المكفوفين ، وأقيم البناء اللازم لذلك ، وابتدأ العمل في التعليم والرعاية ، ولكن لم يلبث أن ظهر بناء تبين أنه كنيسة بجانب عمارة معهد الرعاية ، فما كان من الدولة إلا أن طلبت هدمه – تحت تأثير الشعب – وتم ذلك . وهكذا فشلت المنافسة الأميركية من هذه الطريق إلى جانب دعاية الروس وعملائهم الشيوعيين ضد الولايات المتحدة وبعد إلغاء الكنيسة توقفت المساعدات التي وعدت بها أفغانستان لشؤون الصحة والتعليم ، وكان لهذا دوره في تفاقم الدعاية الشيوعية أيضاً .

ثم حدث التفاهم بين روسيا والولايات المتحدة على أكثر قضايا العالم ولم يعد خوف من الصدام بينهما ، وزالت كل الغيوم التي كانت متلبدة في الجو الذي صفا للروس تماماً . لم تكن هذه المنافسة بين روسيا والولايات المتحدة لتقوم على أرض الأفغان المسلمة والسكان ينظرون اليها من بعيد على انها لا تهمهم و كأنها تحدث على أرض غير أرضهم أو أن هذه البقعة قد اضحت لهؤلاء المستعمرين يتنازعون

عليها ، ولكن الجهل كان ينخر في الأفغانيين والتواكل يقعدهم ، وتسيطر عليهم الغفلة أو البراءة ، ويطغى عليهم عدم الحيوية والرضا بالأمر الواقع وعدم الخوض في مشكلات البلاد السياسية والاقتصادية إضافة إلى الفقر الذي يجعلهم يسعون وراء لقمة العيش وبالتالي لا يعرفون شيئاً أو يركضون وراء مصالحهم المادية ومنافعهم الشخصية ، وتدور المنافسة بين أنصار قليلين من كلا الفئتين المتنازعتين سياسياً ويستفيد هؤلاء العملاء فوائد كبيرة وفي مقابلها يركضون . إلا أن المسلمين الواعين والعلماء الحقيقيين لا يمكنهم السكوت إلى النهاية ، فهم يعرفون الاسلام كما أنزله الله وكما يريده رسوله ﷺ ، ويعلمون النشاط الحركي الذي سار عليه صحابة رسول الله رضوان الله عليهم والدعاة المصلحون في كل حقبة . فتعاون الشباب المسلم الذين شكّلوا أول نواة إسلامية حركية عام ١٣٧٨ هـ / ١٩٦٧ م مع العلماء أمثال محمد يونس خالص وعبد الرزاق باريس والملا بن وزير وخدايا نورا ، وكان هذا التعاون من أجل التخطيط لجعل الدين الاسلامي أساساً للتربية والتعليم ومكافحة العملاء الاميركيين والخلايا الشيوعية التي بثها الحزب الشيوعي الديمقراطي ، كما كان لهؤلاء دور في فضح الروس في الحرب الباكستانية الهندية وبالتالي كشف دور الخبراء الروس الذين يعملون في مشروعات الري في أفغانستان في نقل السلاح وتهريبه عبر أراضي أفغانستان كما كان التعاون مع (منهاج

الدين جاهز) مدير تحرير جريدة الفجر الاسبوعية التي تصدر في كابل .

كانت هذه النواة ذات جهود وإمكانات يسيرة فقد كانوا يكتبون أفكارهم على أوراق بسيطة وينسخونها بأيديهم ثم يقومون بتوزيعها سراً — وشتان بين هذه الامكانات وامكانات العملاء الذين تدعمهم دول كبرى وتضطر الحكومة أن تسكت عنهم نتيجة الضغط السياسي — ، ولكن للحق أنصاره في كل وقت ، فقويت هذه الجماعة بسرعة ، واضطرت للاصطدام مع الشيوعيين أو جُرّت إلى ذلك جراً لإمكانية ضربها قبل أن يقوى ساعدها ، ولكن لقيت نجاحاً وحققت انتصاراً عليهم مما شجع أنصارها فزادوا نشاطهم فأخاف ذلك الشيوعيين ، فتسلحوا وجمعوا كيدهم ، وأتوا صفاً واحداً يوم ٣٠ حزيران ١٩٧٠ م / ١٣٩٠ هـ للقضاء على هذه الجماعة ، ولكن الشعب تعاطف مع المسلمين فاذا بـ ١٧٠ رجلاً من الشيوعيين جرحى في الميدان ، وقد انسحبوا وراءهم ذيول الخيبة والإخفاق . وجاء رفاق الأمس خصوم اليوم الشيوعيون الصينيون يساعدون إخوانهم في العقيدة ، وليظهروا قوتهم ويتسلموا الشارع ، ولكنهم لم يحصلوا إلا على النتيجة نفسها التي حصل عليها عملاء موسكو ، وخاب أملهم ، وأخفقت تجربتهم . وقام الانقلاب الأخير ولا يزال الجرحى الشيوعيون من كلا الطرفين في المشافي .

وفي عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م جرت انتخابات مجلس طلبة الجامعة في كابل فحصل المسلمون على ٤٤ مقعداً من أصل ٥٤ مقعداً مما زاد في نقمة أعداء الاسلام عامة من شيوعيين ورأسماليين ومتفرنجين يدعون التقدمية ويزعمون حمل لواء المدنية ، كل هذا جعل المسلمين يوحدون جهودهم ، ويجمعون قوتهم ، ويدعمون صفوفهم . وكان تجمعهم في جمعيات أشهرها:

١ً – تجمع الشباب المسلم في جامعة كابل.

٢ً – جمعية العلماء المحمدية .

٣ً – جمعية خدام الفرقان .

شعر الشيوعيون بالخطر الذي يتهـددهم من جراء قوة الحركة الاسلامية المتزايدة فبدأ التخطيط للقضاء على الحكومة رغم انها كانت تساندهم وتقف بجانبهم وتحمي مظاهراتهم وتشدد الرقابة على المسلمين وتمنع أيـة تظاهرة لهم . فقد سكتت سكوت الأموات عن اغتيال مدير تحرير جريدة الفجر (منهاج الدين جاهز) وابنه الذي لم يتجاوز الثانية عشرة يوم ٨ آب ١٩٧٢ م / ١٣٩٢ هـ رغم أن الاتهام قـد وُجه إلى الشيوعيين مباشرة وبالتعاون مع السفير الروسي الذي غادر البلاد مع الملحق العسكري فجأة مساء حادث الاغتيال ، وطويت القضية ، وكأن لم تكن حادثـة اجرام بشعة .

إذا كان النظام الملكي السابق قـد عرف بالوقوف في

وجه الحركة الاسلامية أو بمحاولة ضربها بواسطة الشيوعيين – ويوم قام الانقلاب الأخير كان عدد من شباب الحركة الاسلامية داخل المعتقلات – إلا أن الحكم الذي أعقبه قد جاء مسفراً عن وجهه بمناوأة الاتجاه الديني عامة .

فقد علم الشيوعيون أن الحكم أفضل طريقـة لضرب الحركة الاسلامية لأن الحكم المدني رغم وقوفه بجانبهم إلا أنه يبقى ضعيفاً . وعرفوا أن الاسلام هو الحائل الرئيسي دون امتداد النفوذ الشيوعي أو الرأسمالي على حدٍ سواء لذا يجب القضاء على حملته خوفـاً من أن يكون التغيير عـلى أيديهم وحرصاً على كسب السبق يجب الاسراع في التنفيذ . وجـاءت الأمور السياسية مناسبة لهم بل وفي مصلحتهم .

فالتفاهم بـين موسكو وواشنطن أزال كل خوف من الصدام بينهما كما انه القى على الشيوعيين الروس مهمة القضاء على الحركة الاسلامية هذا من جانب ، ومن جانب آخر فالحرب الباكستانية الهندية كان من ذيولها ضرورة تغيير الوضع في أفغانستان كي يتسنى تسديد ضربة ثانية لباكستان على يد حكام جدد في أفغانستان يطالبون بالنظر من جديد في الحدود بين الدولتين بحيث تأخذ أفغانستان المناطق التي تعيش فيها قبائل الباتان والبالوخ التي توجد في البلدين .

إن للاسلام نظامـــه الخاص في الاجتماع والسياسة

والاقتصاد ، وهو يخالف سائر الأنظمة الأخرى التي وضعتها البشرية وصاغتها أقلام أصحاب المصالح والأهواء من شيوعيين ورأسماليين فهو عدو لهم جميعاً بل إن عداءه أكبر بكثير من ذلك العداء الظاهري المصطنع بينهما . إذ يمكن للمصالح أن تجمع بينهما ما دامت كلتاهما فوق ما سواها وتأخذ الثانية بفكرة الحرية الفردية دون حدود أو قيود وترفع حرية الفرد فوق كل ما عداها .

لقد كان للاسلام مركزان رئيسيان أحدهما في مصر والثاني في باكستان ، والاتفاق الضمني قائم بين المعسكرين العالميين للقضاء على هذين المركزين فاذا ما تم القضاء على مركز على أيدي أحد المعسكرين صفق الآخر مبتهجاً .

لقد ضعف المركز الأول ، بل تقلص وضمر بعد انقلاب ١٩٥٢ م الذي كان مخططاً له القضاء على الحركة الاسلامية والذي تم فعلاً عام ١٩٥٤ م ثم ١٩٦٥ م بمعرفة كلا المعسكرين ، وقد أصبح الأزهر أيضاً جامعة كغيرها ، ويمكن لمشايخه أن يصدروا أية فتوى يريدها الحاكم الذي اختارهم وبالشكل الذي يراه .

وتوحدت الجهود أيضاً للقضاء على المركز الثاني فشاركت روسيا مباشرة ولعبت الولايات المتحدة دورها وكان لانكلترا واسرائيل والصين أدواراً متشابهة لعبتها بشكل إيجابي أو

سلبي ، وكان الممثل الرئيسي للهند[1] ، وانقسمت باكستان إثر الحرب التي خاضتها مع الهند وبدعم الروس المباشر إلى قسمين شرقي حمل اسم بنغلاديش وغربي احتفظ باسم باكستان . وإن خرجت باكستان كليلة مهزومة إلا أنها احتفظت ببعض مركزها ولم يطب العيش لأعداء الاسلام فلا بد من طعنة أخرى تلقيها لا حراك لها ، ولكن هذه المرحلة تتعلق بأفغانستان إذ هناك قبائل تعيش في أرض الدولتين فيمكن اتخاذ ذلك سبباً لتسديد ضربة ثانية لباكستان .

إن أفضل حكم للسير بأفغانستان في هذا الطريق هو الحكم العسكري الذي ينفذ دون مناقشة ويتصرف دون موافقة مجلس ، ويبرم بالأمر دون النظر إلى دستور ، وكرست الجهود لتسليط الأضواء على شخصية السردار محمد داود ، فهو أحد أفراد الأسرة المالكة وابن عم الملك محمد ظاهر شاه وزوج شقيقته ولهذا أهميته بالنسبة إلى الأشخاص الذين ربطوا مصالحهم مع تلك الأسرة . ثم هو من الذين يقفون موقفاً مناوئاً للاتجاه الديني الذي يريدون القضاء عليه . كما انه من الذين عرفوا بتعاطفهم مع الروس ، ومن الذين لهم علم بقضايا السياسة والحكم فقد ظل يدير شؤونها مدة عشر سنوات متواصلة . وأكثر من هذا كله فقد كان اثناء حكمه غير متفاهم مع باكستان في قضايا الحدود والقبائل التي تقيم في تلك المواطن ، وهذا هو بيت

---

(١) أنظر كتاب (باكستان) من هذه السلسلة ص ٩٧ وما بعدها .

القصيد . وبين الهند وأفغانستان معاهدة صداقة قديمة ونوع من الود، وبهذا يتصل محور موسكو – دهلي بالحكم الأفغاني المرتقب .

أعلن صباح الثلاثاء ١٧ جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ الموافق ١٧ تموز ١٩٧٣ م عن القيام بانقلاب في أفغانستان بزعامة السردار محمد داود ، وقد نجح رغم انـــه لقي مقاومة عنيفة من أنصار الملك عند حصار القصر الملكي . وأوضح قائد الانقلاب سياسته في بيانه الأول فقال : « إن أفغانستان تقف موقف عدم الانحياز وإنها لن تدخل أي حلف عسكري ، وإنها تحرص على العلاقات الطيبة التي تربطها مع دول العالم ، أما فيما يتعلق بباكستان فان نزاعاً سياسياً يقوم بيننا وبين ذلك البلد ، وهو البلد الوحيد الذي لم ننجح في حل مشكلة معه » . ومن هذا تظهر الدوافع الحقيقية التي تكمن وراء الانقلاب ، وخاصة إذا علمنا أن مظاهرات كانت تقوم في بلوخستان الاقليم الباكستاني المجاور لأفغانستان مطالبة بالحكم الذاتي في تلك المنطقة التي تقطنها قبائل يعيش بعضها في أفغانستان . ولكن هناك دوافع أخرى للانقلاب أو على الأقل جُعلت واجهة لأهميتها وهي المساوىء والرشاوى التي تتفشى في جهاز الدولة ، وهذا ما أعلنه قائد الانقلاب في بيانه الأول ، بل هو ما يعلنه كل متسلم جديد للسلطة قفز اليها قفزاً ، وقد أعلن عن تقديم موسى شفيق رئيس وزراء الأفغان السابق للمحاكمة بدعوى انه قبض مبالغ طائلة من دولة إيران كرشوة .

كانت إذاعة الهند أول محطة نقلت نبأ الانقلاب ، وأعلنت الاعتراف بالوضع الجديـــد ، وتلتها روسيا حيث أذاعت الخبر

بعدالهند وبعد أربع ساعات فقط من وقوعه ، وأعقبته بالاعتراف بالحكم الناجم عن الانقلاب ، رغم انها تتمهل عادة بالاعتراف بمثل هذه الأوضاع التي تنجم عن الانقلابات ، وكانت سياستها تسير بشكل متوازٍ مع سياسة الهند .

إن أهمية أفغانستان بالنسبة إلى الهند كبيرة فهي إضافة إلى أنها ضالعة في تفتيت باكستان ، وعن طريق أفغانستان يمكن أن يتم هذا التفتيت لوضع القبائل الذي تكلمنا عليه في الدولتين المتجاورتين كما أنها ذات أهمية أيضاً بالنسبة إلى كشمير وجامو منطقة النزاع الباكستاني - الهندي القائمة والدائمة التي يصعب حلها لموقف الهند العنيد .

ويبدو أن هذاالانقلاب قد كان مرحلة أولى يتم خلالها الضغط على الحركة الاسلامية التي بدأت تشق طريقها نحو القوة ، والتمكين للفئات المعادية للإسلام والتي تلقى دعماً من الروس ، ومضت خمس سنوات على هذا الانقلاب تمّ فيها تحقيق المخطط ، واستنفد محمد داود أغراضه ، وعندها وجد نفسه وجها لوجه أمام حركة جديدة أطاحت به وبحكمه ، وتسلم الضباط الصغار الحكم ، وبدؤوا يسيرون نحو السياسة الروسية، وقد غمروا البلاد بالخبراء الأجانب ، واتبعوا سياسة الافقار والظلم لإخافة الشعب وألقوا من بقي من قادة المسلمين بغياهب السجون بعد ان قتلوا أكثرهم ، وكان الحكم السابق قد قام بالمهمة نفسها ... ونتيجة الظلم لم تعد النفوس مزيدا منه فقامت حركة إسلاميةمن صفوف الشعب والقادة الذين سبق لهم أن فروا من البلاد، ولقيت دعما من جاراتها باكستان وايران الذي قويت فيهما الحركة الاسلامية ، ولا تزال الثورة قائمة في أفغانستان ويبدو من خلال الأحداث أن الامل كبير في نجاحها .

الحياة الاقتصاديّة

الزراعة : تعدّ أفغانستان بلداً زراعياً ، ويعمل في مهنة الزراعة أكثر من ٨٠ ٪ من السكان رغم أن الأرض الزراعية لا تزيد على ١٩ ٪ من مساحة البلاد العامة . وتقع ثلاثة أرباع الأراضي الزراعية شمالي جبال هندكوش في حوض نهر جيحون . وأهم الزراعات :

القمح : ويشغل $\frac{١}{٦}$ الأرض المزروعة ، ويجود في وادي كابل وغزنة وقندهار ومزار شريف وميمنة وهراة .

الذرة : وتقدر المساحة المزروعة ذرة بـ ٣٥٠,٠٠٠ هيكتاراً.

الشعير : ويزرع على مساحة تقدر بالمساحة المزروعة ذرة ، وإن كانت مناطقه أقل خصوبة واكثر ارتفاعاً .

الأرز : وتقدر الأرض المزروعة بـ ١٨٠,٠٠٠ هيكتاراً .

هذا إضافة إلى أنواع البقول من العدس والفول وغيرها . . .

القطن : وهو من النوع طويل التيلة إضافة إلى أنواع متوسطة التيلة وقد نجحت زراعة الأقطان المصرية والأمريكية.

قصب السكر : ويزرع في عدة مناطق من البلاد .

الشوندر السكري : وقد اهتمت الحكومة بزراعته وأعطته أولوية الاهتمام مع القطن ، ويمتاز الشوندر الأفغاني بنسبة كبيرة من المواد السكرية .

الزيتون : ويوجد في مناطق قليلة ، وأشهرها منطقة باكتيا جنوب منطقة كابل .

العنب : ويوجد أكثر من سبعين نوعاً من العنب في أفغانستان.

وتوجد أنواع كثيرة من الفاكهة أهمها المشمش والتفاح والخوخ والاجاص والكرز والتين والرمان . ويعتمد $\frac{٢}{٣}$ الأرض الزراعية على الرّي بينما الباقي يعتمد على المطر .

كما يوجد الجوز والفستق بشكل طبيعي .

تربية الحيوانات : تغطي المراعي ٥ ٪ من مساحة البلاد العامة ، وتربى الحيوانات بكثرة وفي طليعتها الخيول التي يعتني بها في المقاطعات الشمالية ، وخاصة بلخ وبغلان ، ثم تأتي الأغنام الجيدة والتي يؤخذ منها الصوف الجيد وهي الكراكول إضافة إلى الأغنام العادية والتي يسمونها عربية .

وتربى دودة القز في مقاطعات بغلان وبلخ وهراة بشكل خاص . وقد استوردت الحكومة أنواعاً من اليابان لتحسين الأنواع الأفغانية ، وتزخر وديان الأفغان بخلايا النحل .

وتوجد الأسماك في بعض الانهار والبحيرات ولكن على نطاق ضيق ، ولا تدخل في غذاء السكان بشكل أساسي .

ويمكن معرفة أهم الحاصلات الزراعية من الجدول التالي :

القمح	وتنتج منه سنوياً	٢,٢٨٠,٠٠٠	طناً
الذرة		٧٠٠,٠٠٠	»
الشعير		٤٠٠,٠٠٠	»
الأرز		٣٢٠,٠٠٠	»
القطن الخام		٩٥,٠٠٠	»
قصب السكر		٤٥,٠٠٠	»
الشوندر السكري		٤٤,٠٠٠	»
حبوب زيتية		٥٠,٠٠٠	»

فواكه	٣١٠،٠٠٠	»
خضار	٥٠٠،٠٠٠	»

وأهم الحيوانات التي تربى في أفغانستان :

أغنام عربية	١٦،٠٠٠،٠٠٠	رأساً
أغنام كراكول	٥،٠٠٠،٠٠٠	»
ماعز	٢،٠٠٠،٠٠٠	»
حمير	١،٥٠٠،٠٠٠	»
جمال	٣٥٠،٠٠٠	»
خيول	٢٨٥،٠٠٠	»
بغال	٢٠،٠٠٠	»

الثروة المعدنية : تكثر المعادن في أفغانستان وأهمها :

الذهب : ويوجد قرب قندهار وفي باداخشان .

الفضة : في وادي بانجشير .

الكبريت : في هزاراجات .

الملح : في قاتجان .

الفيروز : في قندهار وجاجيديلك .

اللازورد : في شمالي أفغانستان ، وهو من أحسن الأنواع في العالم .

وتزخر مرتفعات هندكوش بالرصاص والمنغنيز والقصدير والنحاس . كما يوجد الفحم والمرمر في عدة مناطق . وتقدر كمية الفحم المستخرجة بـ ٦ آلاف طن . ويجري التنقيب عن النفط ، وقد عثر على كميات منه ، كما أدى الحفر إلى اكتشاف الغاز الطبيعي .

الصناعة : لا تزال البلاد في أول مراحلها الصناعية وأهم ما يصنع في البلاد المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية ، إضافة إلى صناعة السجاد . وهناك محالج القطن ، ومصانع للسكر وأخرى للصابون ، والزيوت النباتية والدباغة . ووجدت معامل للاسمنت والزجاج والقرميد والكبريت وحفظ الفواكه ، وينتظر أن تستمر البلاد في تقدمها الصناعي .

المواصلات : تشكل طبيعة البلاد الجبلية عقبة في وجه المواصلات التي تعدّ متأخرة إذ لا يوجد أية سكة حديدية داخل أفغانستان مع العلم أن الخطوط الحديدية تصل إلى الحدود سواء في الجنوب في باكستان أم في الشمال في البلاد التركستانية التي تخضع للسيطرة الروسية. كما أن الطرق البرية المعبدة لا تزال قليلة ولا تزال تستعمل الحيوانات من بغال وحمير وجمال وخيول في المواصلات ، وتعدّ هي أداة النقل الأولى .

وتوجد شركة أريانا للنقل الجوي ويوجد مطاران دوليان أحدهما في كابل والآخر في قندهار ، إضافة إلى ثمانية مطارات محلية في الشمال والغرب والجنوب الغربي في المناطق المستوية التي تحيط بالمرتفعات أهمها في مزار شريف وميمنة وهراة وفرح كما وجد مطاران في المرتفعات وسط جبال هندكوش .

ومعظم النقل يتم عن طريق باكستان في الجنوب أو عن طريق تركستان في الشمال . إضافة إلى الطرق البرية التي تصلها مع إيران ، والشعاب الجبلية مع كشمير والتيبت في الصين .

تصدر أفغانستان جلود الكراكول بالدرجة الأول وتشكل

ما يقرب من ثلث قيمة الصادرات ثم هنـــاك الفواكة المجففة والطازجة والسجاد والبسط والفستق والجوز .

وتستورد الأقمشة والشاي والسكر والنفط والآلات والسيارات والأدوات الكهربائية . وتكاد قيمة الصادرات تزيد قليلاً عن نصف قيمة الواردات .

خاتمة

هذه لمحة مختصرة عن أفغانستان ــ البلد المسلم ــ يلمح فيها القارىء غنى هذه الدولة ، ولكن هذا الغنى لم يظهر بعد ، فلا يزال بعد إما في جوف الارض على شكل ثروات معدنية دفينة وإما محجوزاً خلف المشروعات الكثيرة التي تحتاج اليها البلاد . ومن المفروض أن يمد أفغانستان بالمال شقيقاتها المسلمات إضافة إلى الخبرة اللازمة لإنجاز هذه المشروعات بدلاً من أن تتجه نحو هذا المعسكر أو ذاك ، نحو تلك الدول المتصارعة التي تهدف كل منها إلى سبق الأخرى وبسط نفوذها على ما استطاعت عليه من هذه الأرض باسم نشر الحضارة والتوسع والمادي . ومن المعلوم أن أفغانستان كان موقفها دائماً بجانب قضايا المسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض ، فهي جديرة أن تقدم لها كافة المساعدات .

وقد كانت هذه البلاد دهراً مسرحاً للحضارة الاسلامية ثم انحسرت عنها الحضارة وأصابها ما أصابها من الركود ـ وللحضارة إقبال وإدبار ـ . وهي اليوم مقبلة على تقدم متأثرة بالغرب ، وحبذا العمل للعودة بها إلى الحضارة الحقيقية التي ينشدها لأهله الاسلام والتي تجمع بين الحق والخير والقوة والعلم والفضيلة والكمال وذلك قبل طغيان تقدمية الغرب المادية التي ذاق العالم منها الويلات رغم ما فيها من علم ومظاهر جديدة إذ يسعى أهلها لاستعباد الناس وأخذ خيرات بلادهم وثرواتها وجرهم وراءهم يهيمون على وجوههم في سبيل الحصول على الشهوة أو المال أو المنصب والسلطان . ولن يكون هذا العمل إلا من رجال مخلصين مؤمنين يريدون الخير لأمتهم ويخشون الله في أعمالهم ويبتغون رضوانه .

الفهرس

مواطن الشعوب الإسلامية

صــــدر منـــها :

أ ـ في افريقيا	ب ـ في آسيـــا
١ ـ غينيا	١ ـ تركستان الغربية
٢ ـ نيجيريا	٢ ـ تركستان الشرقية
٣ ـ الصومال	٣ ـ قفقاسيا
٤ ـ موريتانيا	٤ ـ باكستان
٥ ـ اريترية والحبشة	٥ ـ اندونيسيا
٦ ـ تشاد	٦ ـ اتحاد ماليزيا
٧ ـ تنزانيـــا	٧ ـ فطاني
٨ ـ السنغال	٨ ـ المسلمون في قبرص
٩ ـ اوغندة	٩ ـ المسلمون في الفيليبين
١٠ ـ ليبيـــا	١٠ ـ جزر المالديف
١١ ـ السودان	١١ ـ افغانســتان